قررت نظارة المعارف العموميه تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائيه



الأدب الصغير

لابن المقفع

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي باشا

كاتب سر مجلس النظار

الطبعة الأولى

طبع على ذمتها وبمطبعتها التابعة لمدرسة محمد علي الصناعيه بالاسكندرية

سنة ١٣٢٩ / ١٩١١

الأدبُ الصَّغير

لابن المقفَّع

طبع على ذمة



بمطبعة



قررت نظارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب في جميع مدارسها الابتدائية



الطبعة الأولى

سنة ١٣٢٩
١٩١١

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للأدب الصغير

أرسل الله مُحَمَّدا بالحكمة وفصل الخطاب ، وبَعَثَهُ لِيُتَمِم مكارم الأخلاق .

فكان مُحَمَّدٌ مُحَمَّدًا فى قوله وفعله ، ومثالاً حيّا للكمالات بين قومه . وهكذا تولّى تربيتهم وتاديبهم بنفسه ، حتى أصبحوا وهم هُداة الأنام ، وقادة الأيّام .

إقترانُ القول بالعمل، وتَحَدِّى مكارم الأخلاق فى السرّ

والعلَن، وتَوَخّى الكمال فى حالتَىْ الوَحدة والاجتماع: تلك هى الأركان الثلاثة التى قامت عليها دولة الإسلام .

لذلك كان حقًا لها أنْ تصل فى أقلّ من الثمانين، إلى ما لم يبلغه غيرها فى الغابرين ولا فى الحاضرين. فَأَيْنَ منها صاحب التاج والإيوان، أواسكندر اليونان، أوقيصر الرومان؟ وهيهات أنْ يُدانيها ما نشهَدُه الان فى غرب أَوْرُبَّة أو فى شرقها المترامى الأطراف!

نعم (لَمْ تَكُ إلا عَشِيَّةً أو ضُحاها)، حتى دانت الدنيا من أدناها إلى أقصاها، وفى أجمل شَطْرَيْها وأفضل شِقَيْها، الى تلك الدولة الفتيّة البدوية التى كانت دعائمها، حيثما حلّت رجالاتها: حريّة وإخاء ومساواة .

أكان للناس عجبا أن أمّة - تعتمد على هذه الدعائم وترتكز على تلك الأركان - تنشر لغة جديدة، وديانة حديثة، وحضارة بديعة؟ مُثلثٌ فى التوحيد قد اجتمعت على كلمته شعوب متباينة من سدّ الصين فى أقصى الشرق إلى سِيف اقيانُس فى نهاية أندلس. وذلك كله فى مدة قد لا تكفي لمرور الجيوش وعبور الاساطيل .

فما هو السرّ فى هذه الاعجوبة المدهشة التى لا نرى لها نظيرًا فى التاريخ على الإطلاق؟

لعمرى إنه ينحصر فى كلمة واحدة، هى: **مكارم الأخلاق.**

لبثت الحال على هذا المنوال تسعة قرون بالتمام: تتخللها أَزْمَة يتبعها فَرَج، ويَعتَوِرُها عُسرٌ يتلوه يُسر (إلى أن اضطرب دولاب تلك الحركة العمرانية الهائلة) (وتضاءل تيار الأخلاق الفاضلة.) فكان ما كان، مما اسمّيه طورْ الكمون والافول، ولا أقول دَوْر التلاشى والزوال. وكل كَمين قَمينٌ بالظهور، وكل افول فإلى طلوع ثم إلى إشراق!

تقلَّص ظل هذا الملك الوسيع، (وتناقصت أطراف ذلك الرواق الممدود) فتراجع الشرق إلى مهاده جاثمًا واجمًا، وحافظ على بيضته مدافعًا ومهاجمًا. وصبر أهلوه على خطوب الزمان صبر الكرام، وتربّصوا حتى تتصرّم أعاصير السياسة بسلام. والدنيا دول، «وتلك الأيّام نُداولها بين الناس»

على أن تلك الأخلاق العالية مازالت جراثيمها كامنة فى النفوس، راسخة فى السجايا. وما هى إلا هِزَّة من الانتعاش فتخرجها من زوايا الانكماش، وتجلوها فى مظاهر الحياة الصحيحة وميدان العمل الخصيب؛ وما هى إلا هَبَّة من أولياء الأمور وأهل الرأى وقادة الأفكار، ليتنبَّهَ الشرقيون من هذا الرقود الطويل، فيشهَدَ العالَمُ من فعال الأحفاد ما بهر الأبصار فى أيام الأجداد، وأعنى بذلك:

تطلُّب المعالى والسير إلى الأمام ... على الدوام.

***

والحمد لله! فقد بدَتْ تباشير البعث والنشور، وتلها مؤذنة:

حَىَّ على خير العمل! حَىَّ على الفلاح!

***

فهل أتاك حديث مولانا العبّاس

لقد جدَّد وضع الأساس، لخير أمة اخرجت للناس. إذ نشر رايات العلم على ربوع مصر، وأعزّ دولة الأدب فى هذا العصر، وقديمًا

صرف همته لتوفير مصادر الثروة الطبيعية التي هي قِوام الرقيّ الصحيح. ثم بذل عنايته لإحياء الآداب العربيــة ، فاستحق شكر الناطقين بالضاد وبغير الضاد ، وخلّد الـكرام الكاتبون ذلك الفضل في صحيفة حسناته.

وها هو ذا قد وجّه اليوم عزيمته لإعادة الأخلاق إلى نصابها القديم وصراطها المستقيم ، لعلمه أن الأمم بالأخلاق.

ولقد وفقه الله في مسعاه •

فكان له من رجالاته ، خير معوان على تنفيذ مقاصده وتحقيق رغباته. وأخصهم وزيره الاكبر صاحب العطوفة محمد سعيد باشا، وعضده الايمن في عمله الميمون ذو السعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف العمومية .

أَحسّ هذا الوزير العصاميّ العباسيّ بحاجة النشء ورجال الغد إلى كتاب يجمع بين دفّتيه تهذيب الطباع ومَلَـكة الفصاحة في آن واحـد . فلم ير أَفضل لبلوغ هذه الغـاية المزدوجة من كـتابَيْ « الأدب الصغير » و « الأدب الكبير » لعبد الله

ٱبن المُقَفّع ، أمير البلغاء بلا نكير ، وسيد الحكماء ولا جدال .
قرّر تدريسه فى المدارس المصرية ليشبَّ النشء على الحكمة والأدب وتنطبعَ نفوسهم الرطبة على مكارم الأخلاق منذ نعومة الأظفار . هذا إلى ٱعتياد التراكيب الفخْمة والأساليب الجزْلة ، مع جمال التقسيم في عرض الأفكار وصياغتها فى قالَب الإبداع .

* * *

والآن أتقدّم بين يدَيْ أهل الأدب بهذا الكنز الكبير ، كتاب « الأدب الصغير » ، بعد أن صرفتُ نهاية الجهد في حسن تقسيمه ، والتدقيق في تحقيق كلماته وتفسير غوامضه وضبط حروفه بالشكل الكامل : معتمدًا على علمي القليل وٱطلاعي اليسير مع مراجعة الامّهات والمظانّ في كل حرف من حروفه ، بغاية ما وسعته الطاقة ووصل إليه الإمكان . ولا يعرِف الشوق إلا من يُكابده

ولستُ أغمط أحدًا فضله . فان البحاثة الشيخ طاهرًا الجزائري هو أول من وفقه الله للعثور على نسخة سقيمة من هذا الكتاب

بمدينة بعلبك ، فنسخها كما هى ، وعلى عَجَل كما يقول ، ثم استعان بالنقادة محمد افندي كرد علي الدمشقي فنشرها في مجلته العربية الطائرة الصيت، أيام كان يصدر « المُقْتَبَس » بمدينة القاهرة . فجاءت وفيها شيء كثير من أوجه النقص لعدم وجود نسخة ثانية للتصحيح ، ولعدم تيسر الوقت الكافي للعناية بها كما هي أهله .

ولقد استخدمتُها ورجعتُ إليها في بعض الكلمات . فلصاحبيها فضل السبق ولهما نصيبٌ من الشكر .

والله المسؤول أن يوفقنا وإياهما وسائر أهل الأدب ، للتعاون على إحياء مآثر العرب .

أحمد زكى

نظرة سريعة

فى تحرير الادب الصغير

من تصفح هذا الكتاب ـ ولو بأدنى امعان ـ يرى ثلاثة أمور تكاد تكون من البديهيات :

١ ـ ان اسلوبه مستمد من الروح الفياضة السارية في كتاب « كَلِيلة ودِمْنة » ؛

٢ ـ انه يمتاز بزيادة المتانة في التركيب والبراعة في التعبير. لان ابن المقفع كان هنا مؤلفاً وناقلا ، وأما في كتاب الفيلسوف الهندى فكان مترجماً ومفسراً ؛

٣ ـ ان ابن المقفع نقل هنا عن نفسه من كتاب « كليلة ودمنة » حروفاً من الحكم والامثال ، فجاء ذلك مصداقاً لقوله في فاتحة « الادب الصغير : وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفا فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجلية أبصارها واقامة للتدبير ودليل على محامد الامور ومكارم الاخلاق » (ص ١١) .

هذا فضلا عن نقله عن مصنفات أخرى . ولكنه عند اقتباسه كلامه عن كتابه الذي سارت به الركبان، وبقي الى الآن أجمل مثال للبلاغة والفصاحة ، قد اختصر أو أطال أو غير بعض الاوضاع ، كما هو شأن الجهابذة من أرباب الاقلام .

واعلم أن اختلاف العبارات الواحدة في « كليلة ودمنة » وفي « الأدب الصغير » يدلنا ايضاً على صدق ما قاله المحققون وما نشهده باعيننا من تخالف النسخ الباقية من « كليلة ودمنة » ، لكثرة تداول الناس لها واعمال الايدي فيها . والذى ظهر لنا ان النسخة التى عني بطبعها الاب الفاضل لويس شيخو اليسوعي هى (مع ما فيها ايضاً) أقرب النسخ المعروفة الآن الي الاصل الاول . ومصداق ذلك انها مطابقة كثيراً للعبارات التى نقلها ابن المقفع نفسه في «الادب الصغير» .

ولعدم الاطالة أكتفي بايراد شواهد ثلاثة :

الشاهد الاول ـ العبارة الواردة في « الأدب الصغير » (ص ٦٩ س ١ ـ ٩)

يقابلها في « كليلة ودمنة » في طبعة الاب شيخو سنة ١٩٠٥ م ما نصه :

«فان العقلاء والكرام يبتغون الى كل معروف وصلة وسبيلا . والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل

الكوز الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الاعادة والاصلاح ان اصابه كسر . والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى عيب ثم لا وصل له ابداً . والكريم يود الكريم على لقاء واحد أو معرفة يوم واللئيم لا يصل احداً الا عن رهبة أو رغبة . » (صفحة ١٢٩)

ويقابلها في الطبعة الاولى ببولاق سنة ١٢٨٥ هـ المنقولة ببعض زيادات ونقص عن أول طبعة ظهرت في العالم بعناية العلامة البارون سلفستر دوساسي الفرنسي في سنة ١٨١٦ م ما نصه :

« فان العقلاء الكرام لا يبتغون على معروف جزاء والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الاعادة هين الاصلاح ان اصابه ثلم او كسر والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ومثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من ادني عيب ولا وصل له ابداً والكريم يود الكريم واللئيم لايود أحداً الا عن رغبة أو رهبة» . (صفحة ١١٠)

الشاهد الثاني ـ العبارة الواردة فى « الا دب الصغير » (ص ٧٣ س ١٠ وص ٧٤ س ١) يقابلها فى طبعة الاب شيخو مانصه :

«ان العلم لا يتم الا بالعمل وأنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به وان لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالماً ولو ان رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به سمي جاهلا ولعله أن يكون قد حاسب نفسه وجدها قد ركبت أهواء هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأداها من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد عرفه ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي ان يعمل بما جربه هو أو أعلمه به غيره كان كالمريض العالم برديء الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقيله ثم يحمله الشره على اكل رديئه وترك ما هو أقرب الى النجاة والتخلص من علته. (ص٧٣)

ويقابلها في طبعة بولاق المذكورة ما نصه :

ان العلم لا يتم الا بالعمل وانما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع وان لم يستعمل ما يعلم فلا يسمي عالماً. ولو ان رجلا ....الخ. »

الشاهد الثالث ـ العبارة الواردة في «الأدب الصغير» (ص ٧٧ س ٧ ـ ٨ وص و٧٨ س ١) يقابلها في طبعة الاب شيخو ما نصه :

«ما يزال الرجل مستمراً مالم يعثر فاذاعثر مرة في أرض خبار لجّ به العثر وان مشى في جدد » (ص ١٤١)

ويقابلها في طبعة بولاق مانصه :

«لا يزال الانسان مستمراً في اقباله ما لم يعثر فاذا عثر لج به العثار وان مشى في جدد الارض.» (ص ١١٨)

هذا . ويظهر ان ابن المقفع قد نقل في بعض المواضع عن حكيم او كتاب ولم يشر اليه مراعاة للاسلوب الذي اعتمده من الاول للآخر، ثم عاد فنقل عنه مستعملا لفظة: «وقال» كأنه سبق له ذكره . ترى ذلك في صفحات ٤٥ و٤٧ و٤٩ و٥١ و٥٢ . وقد يستعمل هاتين العبارتين: «كان يقال» (ص ٣٢ و٦٥ و٧٢) و «وسمعت العلماء قالوا» (ص ٧٣).

وفوق ذلك فهناك نقولٌ أخرى يتيسر الاهتداء اليها لكل من يتعاطى صناعة الادب او يعالج كتب العرب

اما مقدمة «الأدب الصغير» من صفحة ٥ الى صفحة ١٢ فهي من بدائع ابن المقفع : أملاها عقله الفياض على قلمه السيال فجاءت كالماء الزلال بل كالسحر الحلال ؟

أحمد زكي

صحيفة الشكر الخالد

لصاحب الدولة والفخامة الصدر الاعظم الاسبق

حسين حلمى باشا

فقد أمدَّنى برعايته للتنقيب فى خزائن القسطنطينية

وعاوننى بعنايته على آلتقاط كثير من جواهر

الآداب العربية

كلمة

الجمعية الملتزمة للطبع والنشر

أما بعد حمد الله كفاء حقه، والصلاة والسلام على محمد أكرم خلقه. فقد صِرنا إلى عصر أذِنَ الله فيه للعربية أن تنشُط من عِقالها، وتلُمّ من شعَثها، وتجدد من تاريخ مجدها، فسخّر لها من بَرَرة بنيها، وخيرة محبيها، مَن يجمع شتاتها، ويستكمل عَتادها، من كرام ولاة الأمور، ومِن سَرَوات الجمهور، حتى أصبحنا فى هذا العصر العباسىّ الحاضر، نستعيد العصر العباسىّ الغابر.

وإذ كنا - بعون الله - ممن تشرفوا بخدمة هذه اللغة، وكان البحاثة النقادة المفضال صاحب السعادة أحمد زكى باشا كاتب أسرار مجلس النظار فى طليعة الذين وقفوا حياتهم على استخراج نفائسها من ضمير الزمن، وإبرازها في ثوب قشيب لنفع الأمّة والوطن، فقد تقدمنا إليه أن يأذن لجمعيتنا بطبع كتابَيْ «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» لابن المُقَفَّع من النسخ الصحيحة المكملة لبعضها بعضاً التى ظفر بها في خزائن القسطنطينية أثناء تنقيبه فيها على أُمّهات

الكتب التي ستكون أساسًا لإحياء الآداب العربية. وقد أودعهما في خزانة كتبه التي جعلها وقفًا بالقاهرة لأهل بلده وسائر المتأدبين.

وغرض الجمعية من هذا الصنيع هو المعاونة على تقويم الاخلاق وتهذيب الطباع، باظهار ثمرة من ثمرات إحياء الآداب العربية. وذلك لأنها قررت الاعتماد عليهما في مدارسها للمطالعة ليتعوّد النشء القراءة في الكتب البليغة فيحذوا في كتابتهم حذوَ عباراتها وتتثقف عقولهم من بارع حكمتها ورائع معانيها.

فلم يقف سعادته عند حدّ السماح، بل تبرّع بتصحيحهما ومراجعة أصولهما، حتى ليُمكِننا أن نقول إن هاتين النسختين أصح جميع الموجود من نفثات ابن المقفع: وهى الآن في حكم النادر.

وهذه أولهما «الأدب الصغير» تقدمها لطلبة المدارس ولجميع قراء العربية. والله المسؤول فى أن يتمّم لنا ما نبتغيه لبلادنا من التقدم والارتقاء في ظل خديونا المحبوب ورجاله الساعين في خير الأمة المتفانين فى اعلاء كلمة أهلها. آمين

جمعية العروة الوثقى الخيرية
الاسلامية

قال ابن المقفع :

أَمَّا بَعْـدُ، فَإِنَّ لِكُلِّ مَخْلُوقٍ حاجَةً، ولِكُلِّ حاجةٍ غايَةً، ولِكُلِّ غايَةٍ سَبِيلاً . واللهُ وَقَّتَ لِلأُمُورِ أَقْدارَها، وهَيَّأَ إِلى الْغَاياتِ سُبُلَهَا، وسَبَّبَ الحَـاجاتِ بِبَـلاَغِهَا .

فَغَـايَةُ النَّـاسِ وحَاجَاتُهُمْ صَـلاَحُ الْمَعَـاشِ والْمَعَـادِ . والسَّبِيلُ إِلىَ دَرْكِـهَا الْعَـقْلُ الصَّحِيحُ. وأَمَارَةُ صِحَّـةِ الْعَـقْلِ آخْتِيَـارُ الأُمُورِ بِالْبَصَرِ، وَتَنْفِيذُ الْبَصَرِ بِالْعَزْمِ .

ولِلعُقُولِ سَجِيَّاتٌ وغَرَائِزُ بِهَـا تَقْبَلُ الأَدَبَ . وَبِالأَدَبِ تَنْمِي الْعُقُولُ وتَزْكُو .

فَـكَما أَنَّ الْحَبَّةَ الْمَدْفُونَةَ فى الأَرْضِ لاَتَقْدِرُ أَنْ تَخْلَعَ يَبَسَهَا وتُظْهِرَ قُوَّتَهَا وتَطْلُعَ فَوْقَ الأَرْضِ بِزَهْرَتِها وَرَيْعِها ونَضْرَتِها

ونَمَائِهَا إِلاَّ بِمَعُونَةِ الْمَآءِ الَّذِي يَغُورُ إِلَيْهَا فِى مُسْتَوْدَعِهَا فَيُذْهِبَ عَنْهَا أَذَى الْيَبَسِ وَالْمَوْتِ وَيُحْدِثَ لَهَا بِإِذْنِ اللهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ ، فَكَذَلِكَ سَلِيقَةُ الْعَقْلِ مَكْنُونَةٌ فِى مَغْرِزِهَا مِنَ الْقَلْبِ : لَا قُوَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ بِهَا وَلَا مَنْفَعَةَ عِنْدَهَا حَتَّى يَعْتَمِلَهَا الْأَدَبُ الَّذِي هُوَ ثِمَارُهَا وحَيَاتُهَا ولِقَاحُهَا .

وَجُلُّ الادَبِ بِالْمَنْطِقِ ، وجُلُّ الْمَنْطِقِ بِالتَّعَلُّمِ . لَيْسَ مِنْهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ مُعْجَمِهِ ، ولَا آسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلاَّ وَهُوَ مَرْوِيٌّ ، متعلمٌ ، مَأْخُوذٌ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ : مِن كَلَامٍ اوْ كِتَابٍ .

وذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّاسَ لمْ يَبْتَدِعُوا أُصُولَهَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ عِلْمُهَا إِلاَّ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ .

فَإِذَا خَرَجَ النَّاسُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَمَلٌ أَصِيلٌ

وأَنْ يَقُولُوا قَولاً بَدِيعًا ، فَلْيَعْلَمِ الْوَاصِفُونَ الْمُخْبِرُونَ أَنَّ أَحَدَهُمْ ـ وَإِنْ أَحْسَنَ وَأَبْلَغَ ـ لَيْسَ زائِدًا عَلَى أَنْ يَكُونَ كَصَاحِبِ فُصُوصٍ وَجَدَ يَاقُوتاً وزَبَرْجَدًا وَمَرْجَاناً ، فَنَظَمهُ قَلاَئِدَ (١) وَسُمُوطًا(٢) وَأَكَالِيلَ(٣) ، وَوَضَعَ كُلَّ فَصٍّ مَوْضِعَهُ ، وَجَمَعَ إِلَى كُلِّ لَوْنٍ شِبْهَهُ وَمَا يَزِيدُهُ بِذَلِكَ حُسْنًا . فَسُمِّيَ بِذَلِكَ صَانِعًا رَفِيقًا . وَكَصَاغَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ : صَنَعُوا مِنْهَا مَايُعْجِبُ النَّاسَ مِنَ الْحُلِيِّ وَالآنِيَةِ . وَكَالنحْلِ وَجَدَتْ ثَمَرَاتٍ أَخْرَجَهَا اللهُ طَيِّبَةً ، وَسَلَكَتْ سُبُلاً جَعَلَهَا اللهُ ذُلُلاً : فصَارَ ذَلِكَ شِفَاءً وطَعَاماً وشَرَاباً مَنْسُوباً إِلَيْهَا ، مَذْكُورًا بِهِ أَمْرُهاوَصَنْعَتُهَا .

فَمَنْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ كَلاَمٌ يَسْتَحْسِنهُ او يُسْتَحْسَنُ

(١) القلادة حلية من الجواهر توضع في العنق . (٢) السمط هو العقد المنظوم، وهو من حلي العنق ايضاً، وهو طويل يتدلى . (٣) الاكليل عصابة تزين بالجوهر تضعها المرأة على شعرها. واما التاج فهو أعم وأشمل لانه يوضع على الرأس كله ، وهو خاص بالملوك . ولذلك يقولون : "العمائم تيجان العرب"

مِنهُ، فَلاَ يَعْجَبَنَّ إِعْجَابَ الْمُخْتَرِعِ الْمُبْتَدِعِ. فإِنَّهُ إِنَّما اجْتَنَاهُ كَمَا وَصَفْنَا.

وَمَنْ أَخَذَ كلاَمًا حَسَنًا عَنْ غَيْرِهِ فَتَكَلَّمَ بِهِ فى مَوْضِعِهِ وَعَلَى وَجْهِهِ، فَلاَ تَرَيَنَّ عَلَيْهِ فى ذَلِكَ ضُؤُولَةً. فإِنَّهُ مَنْ أُعِينَ عَلَى حِفْظِ كلاَمِ الْمُصِيبِينَ وَهُدِىَ لِلاَقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ وَوُفِّقَ لِلأَخْذِ عَنِ الْحُكَماءِ - ولاَعَلَيْهِ أَنْ لاَ يَزْدَادَ - فَقَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ. ولَيْسَ بِنَاقِصِهِ فِى رَأْيِهِ وَلاَ غامِطِهِ مِنْ حقِّهِ أَنْ لا يَكُونَ هُوَ اسْتَحْدَثَ ذَلِكَ وسَبَقَ إِلَيْهِ. فَإِنَّما إِحيَاءُ الْعَقْلِ الَّذِى يَتِمُّ بِهِ وَيَسْتَحْكِمُ خِصَالٌ سَبْعٌ: أَلإِيثَارُ بِالْمَحبةِ، وَالْمُبالَغَةُ فى الطَّلَبِ، وَالتَّثَبُّتُ فِى الاخْتِيَارِ، وَالاعْتِيادُ لِلْخَيْرِ، وحُسْنُ الرَّعْيِ، والتَّعَهُّدُ لِمَا اخْتِيرَ واعْتُقِدَ، ووَضْعُ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ قَوْلاً وعَمَلاً.

أَمَّا الْمَحَبَّةُ ، فَإِنَّهَا تُبْلِغُ الْمَرْءَ مَبْلَغَ الْفَضْلِ فى كلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ حِينَ يُؤْثِرُ بِمَحَبَّتِهِ . فَلا يَكُونَ شَيْءٌ أَمَرَّا وَلَا أَحْلَى عِنْدَهُ مِنْهُ .

وأَمَّا الطَّلَبُ ، فإِنَّ النَّاسَ لَا يغْنِيهِمْ حُبُّهُمْ ما يُحِبُّونَ وَهَوَاهُمْ مَا يَهْوَوْنَ عَنْ طَلَبِهِ وابْتِغَائِهِ . وَلَا تُدْرَكُ لَهُمْ بغْيَتُهُمْ وَنَفَاسَتُهَا فِى أَنْفُسِهِمْ ، دُونَ الْجِدِّ والْعَمَلِ .

وأَمَّا التَّثَبُّتُ والتَّخَيُّرُ ، فَإِنَّ الطَّلَبَ لَا يَنْفَعُ إِلاَّ مَعَهُ وَبِهِ . فَكَمْ مِنْ طَالِبِ رُشْدٍ وَجَدَهُ والْغيَّ مَعًا . فَاصْطَفَى مِنْهُمَا الَّذِى مِنْهُ هَرَبَ ، وأَلْغَى الَّذِي إِلَيْهِ سَعَى . فإِذَا كَانَ الطالِبُ يَحْوِى غَيْرَ ما يُرِيدُ — وَهُوَ لَا يَشُكُّ فى الظَّفَرِ — فمَا أَحَقَّهُ بِشِدَّةِ التَّبْيِينِ وَحُسْنِ الابْتِغَاءِ !

وأَمَّا اَعتِقَادُ الشَّيْءِ بَعدَ اَستِبَانَتِهِ ، فَهُوَ مَا يُطْلَبُ مِنْ إِحرَازِ الفَضلِ بَعدَ مَعرِفَتِهِ •

وأَمَّا الحِفظ والتَّعهُّدُ ، فَهُوَ تَمَامُ الدَّرْكِ . لأَنَّ الإِنسانَ مُوَكَّلٌ بِهِ النِّسيانُ وَالغَفلَةُ . فَلاَ بُدَّ لهُ ، إِذَا اجتَبَى صوَاب قَولٍ أَوْ فِعْلٍ ، مِنْ أَنْ يَحفَظَهُ عَلَيهِ ذِهنُهُ لاوَانِ حَاجَتِهِ •

وأَمَّا البَصَرُ بِالمَوْضِعِ ، فإِنَّما تَصِيرُ المَنَافِعُ كُلُّها إِلى وَضعِ الأَشيَاءِ مَوَاضِعَهَا . وَبِنَا إِلى هَذَا كُلِّهِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ . فَإِنَّا لَمْ نُوضَعْ فِى الدُّنيَا مَوْضِعَ غِنًى وَخَفْضٍ ، وَلَكِنْ بِمَوْضِعِ فَاقَةٍ وَكَدٍّ . وَلَسنا إِلى مَا يُمْسِكُ أَرْمَاقَنَا مِنَ المَأكَلِ وَالمَشرَبِ بِأَحْوَجَ مِنَّا إِلى مَا يُثَبِّتُ عُقُولَنَا مِنَ الأَدَبِ الَّذِى بِهِ تَفَاوُتُ العُقُولِ . وَلَيسَ غِذَاءُ الطَّعَامِ بِأَسْرَعَ

فى نَبَاتِ الْجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الادَبِ فى نَبَاتِ الْعَقْلِ . وَلَسْنا بِالْكَدِّ فى طَلَبِ الْمَتَاعِ الَّذِى يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ وَالْغَلَبَةُ بِأَحَقَّ مِنَّا بِالْكَدِّ فى طَلَبِ الْعِلمِ الَّذى يُلْتَمَسُ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ والدُّنْيا .

***

وَقَدْ وَضَعْتُ فى هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامِ النَّاس الْمَحْفُوظِ حُرُوفًا فِيهَا عَوْنٌ عَلَى عِمَارَةِ الْقُلُوبِ وَصِقَالِهَا وَتَجْلِيَةِ أَبصارِهَا ، وإِحْيَاءٌ لِلتَّفْكِيرِ ، وإِقَامَةٌ لِلتَّدْبِيرِ ، ودَلِيلٌ عَلَى مَحَامِدِ الأُمُورِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . إِنْ شَاءَ اللهُ !

***

أَلْوَاصِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْعَارِفِينَ ، وَالْعَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَاعِلِينَ .

فَلْيَنْظُرِ امْرُؤٌ أَيْنَ يَضَعُ نَفْسَهُ . فَإِنَّ لِكُلِّ امْرِىءٍ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةٌ نَصِيبًا مِنَ اللُّبِّ يَعِيشُ بِهِ ، لَا يُحِبُّ أَنْ

لَهُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا ثَمنًا . وَلَيْسَ كُلُّ ذِى نَصِيبٍ مِنَ اللُّبِّ بِمُسْتَوْجِبٍ أَنْ يُسَمَّى فى ذَوِى الْأَلْبَابِ ، وَلَا يُوصَفَ بِصِفَاتِهِمْ. فَمَنْ رَامَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ الاسْمِ وَالْوَصْفِ أَهْلاً ، فَلْيَأْخُذْ لَهُ عَتَادَهُ (١) ، وَلْيُعِدَّ لَهُ طُولَ أَيَّامِهِ ، وَلْيُؤْثِرْهُ عَلَى أَهْوَائِهِ . فَإِنَّهُ قَدْ رَامَ أَمْرًا جَسِيماً لَا يَصْلُحُ عَلَى الْغَفْلَةِ ، وَلَا يُدْرَكُ بِالْمَعْجَزَةِ ، وَلَا يَصِيرُ عَلَى الْأَثَرَةِ (٢). وَلَيْسَ كَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانِهَا وَمَالِهَا وَزِينَتِهَا الَّتِي قَدْ يُدْرِكُ مِنْهَا الْمُتَوَانِى مَا يَفُوتُ الْمُثَابِرَ ، وَيُصِيبُ مِنْهَا الْعَاجِزُ مَا يُخْطِئُ الْحَازِمُ .

*
* *

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أُمُورًا إِذَا ضَيَّعَهَا حَكَمَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ بِمُقَارَنَةِ الْجُهَّالِ .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ مُشْتَرِكُونَ مُسْتَوُونَ فى

---

(١) العتاد : التهيؤ والاستعداد والاستحضار للامور والحوادث

(٢) هي اختيار الانسان لنفسه الاشياء الحسنة دون أصحابه

الْحُبِّ لِمَا يُوَافِقُ وَالْبُغْضِ لِمَا يُؤْذِى، وَأَنَّ هَذِهِ مَنْزِلَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْحَمْقَى وَالْأَكْيَاسُ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَهَا فِى ثَلَاثِ خِصَال هُنَّ جِمَاعُ الصَّوَابِ وَجِمَاعُ الْخَطَاءِ، وَعِنْدَهُنَّ تَفَرَّقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَّالُ، وَالْحَزَمَةُ وَالْعَجَزَةُ.

الباب الاول (١) مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ فِيمَا يُؤْذِيهِ وَفِيمَا يَسُرُّهُ، فَيَعْلَمَ أَنَّ أَحَقَّ ذَلِكَ بِالطَّلَبِ (إِنْ كَانَ مِمَّا يُحِبُّ) وأَحَقَّهُ بِالاتِّقَاءِ (إِنْ كَانَ مِمَّا يَكْرَهُ) أَطْوَلُهُ وَأَدْوَمُهُ وأَبْقَاهُ: فَإِذَا هُوَ قَدْ أَبصَرَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا، وفَضْلَ سُرُورِ الْمُرُوءَةِ عَلَى لَذَّةِ الْهَوَى، وفَضْلَ الرَّأْيِ الْجَامِعِ الَّذِى تَصْلُحُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَالْأَعْقَابُ عَلَى حَاضِرِ الرَّأْيِ الَّذِى يُسْتَمْتَعُ بِهِ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ، وَفَضْلَ الْأَكَلَاتِ عَلَى

(١) اى الخصلة الاولى من ثلاث الخصال.

الأَكْلَةِ والسَّاعَاتِ عَلَى السَّاعةِ .

الباب الثانى (١) : أَنْ يَنْظرَ فِيمَا يُؤْثِرُ مِنْ ذَلِك ، فَيَضعَ الرَّجَاءَ وَالخَوْفَ فيهِ مَوْضِعَهُ . فَلا يَجْعَلُ اتِّقَاءَهُ لِغَيْرِ المَخُوفِ وَلَا رَجَاءَهُ فى غَيْرِ المُدْرَكِ . فيَتَوَقَّى عاجِلَ اللَّذَّاتِ طَلَبًا لِآجِلِها ، وَيحتَمِلُ قَرِيبَ الأَذَى تَوَقِّيًا لِبَعِيدِهِ . فإِذَا صَارَ إِلى العَاقِبَةِ ، بَدَا لَهُ أَنَّ فِرَارَهُ كانَ تَوَرُّطًا وَأَنَّ طَلَبَهُ كانَ تَنَكُّبًا .

الباب الثالث (٢) : هُوَ تَنْفِيذُ البَصَرِ بِالعَزْمِ ، بَعْدَ المَعْرِفَةِ بِفَضْلِ الَّذِى هُوَ أَدْوَمُ ، وبَعْدَ التَّثَبُّتِ فى مَوَاضِعِ الرَّجَاءِ والخَوْفِ . فَإِنَّ طَالِبَ الفَضْلِ بِغَيْرِ بَصَرٍ تَائِهٌ حَيْرَانُ ، وَمُبْصِرُ الفَضْلِ بِغَيْرِ عَزْمٍ ذُو زَمَانَةٍ مَحْرُومٌ .

---

(١) اي الخصلة الثانية (٢) أي الخصلة الثالثة

***

وَعَلَى العَاقِلِ مُخَاصَمَةُ نَفْسِهِ وَمُحَاسَبَتُهَا وَالقَضَاءُ عَلَيْهَا وَالإِنَابَةُ وَالتَّنْكِيلُ بِهَا .

امَّا الْمُحاسبَـةُ ، فيُحاسِبُها بِمَا لهَا . فَإِنَّهُ لَا مَالَ لَهَا إِلاَّ أَيَّامُهَا الْمَعْدُودَةُ الَّتِي مَا ذَهَبَ مِنْهَا لَمْ يُسْتَخْلَفْ كَمَا تُسْتَخْلَفُ النَّفَقَةُ ، ومَا جُعِلَ مِنْهَا فِى الْبَاطِلِ لَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْحَقِّ . فيَتَنبَّهُ لِهَذِهِ الْمُحاسبَةِ عِنْدَ الْحَوْلِ إِذَا حَالَ ، والشَّهْرِ إِذَا انْقَضَى، والْيَوْمِ إِذا وَلَّى. فيَنْظُرُ فِيمَا أَفْنَى مِنْ ذَلِكَ ، وما كَسَبَ لِنفْسِهِ، ومَا اكْتَسَبَ علَيْهَا : فى أَمْرِ الدِّينِ وَامْرِ الدُّنْيَا . فيَجْمَعُ ذَلِكَ فى كِتَابٍ فِيهِ إِحْصَاءٌ ، وجِدٌّ ، وتَذْكِيرٌ للأُمُورِ ، وتَبْكِيتٌ لِلنَّفْسِ ، وتَذْلِيلٌ لَهَا حَتَّى تَعْتَرِفَ وتُذْعِنَ .

وأَمَّا الخُصُومةُ ، فَإِنَّ مِنْ طِبَاعِ النَّفْسِ الآمِرَةِ بِالسُّوءِ أَنْ تَدَّعِيَ المَعَاذِيرَ فِيمَا مَضَى، والأَمَانِي فِيمَا بَقِيَ ، فَيَرُدَّ عَلَيْهَا مَعَاذِيرَهَا وَعِلَلَهَا وَشُبُهَاتِهَا .

وأَمَّا القَضَاءُ ، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِيمَا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى السَّيِّئَةِ بِأَنَّهَا فَاضِحَةٌ مُرْدِيَةٌ مُوبِقَةٌ ، وَلِلْحَسَنَةِ بِأَنَّهَا زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرْبِحَةٌ .

وأَمَّا الإِثَابَةُ والتَّنْكِيلُ ، فإِنَّهُ يَسُرُّ نَفْسَهُ بِتَذَكُّرِ تِلْكَ الحَسَنَاتِ ورَجاءِ عَوَاقِبِهَا وَتَأْمِيلِ فَضْلِهَا ، وَيُعَاقِبُ نَفْسَهُ بالتَّذَكُّرِ لِلسَّيِّئَاتِ وَالتَّبَشُّعِ بِهَا والاقْشِعْرَارِ مِنْهَا وَالحُزْنِ لَهَا .

فَأَفْضَلُ ذَوِي الأَلْبَابِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا أَخْذًا ، وأَقَلُّهُمْ عَنْهَا فِيهِ فَتْرَةً .

*
* *

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِرَارًا، ذِكْرًا يُبَاشِرُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَقْذَعُ الطِّمَاحَ (١). فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الْأَشَرِ، وَأَمَانًا - بِإِذْنِ اللهِ - مِنَ الْهَلَعِ.

***

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيَهَا فِي الدِّينِ وفي الْأَخْلَاقِ وفي الآدَابِ: فَيَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي صَدْرِهِ أَوْ فِي كِتَابٍ؛ ثُمَّ يُكْثِرُ عَرْضَهُ عَلَى نَفْسِهِ، ويُكَلِّفُهَا إِصْلَاحَهُ، وَيُوَظِّفُ ذَلِكَ عَلَيْهَا تَوْظِيفًا مِنْ إِصْلَاحِ الْخَلَّةِ وَالْخَلَّتَيْنِ وَالْخِلَالِ فِي الْيَوْمِ أَوِ الْجُمُعَةِ أَوِ الشَّهْرِ.

فَكُلَّمَا أَصْلَحَ شَيْئًا، مَحَاهُ؛ وكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى مَحْوٍ، اسْتَبْشَرَ؛ وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى ثَابِتٍ، اكْتَأَبَ.

---

(١) يكف النفس ويمنعها عن النفار والاسترسال في الشهوات

***

وَعَلى الْعَاقِلِ أَنْ يتفقد مَحَاسِنَ النَّاسِ وَيَحْفَظَهَا عَلى نَفْسِهِ، وَيَتَعَهَّدَهَا بِذَلِكَ مِثْلَ الَّذِى وَصَفْنَا فِى إِصْلاَحِ الْمَسَاوِى •

***

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لاَ يُخَادِنَ وَلاَ يُصَاحِبَ وَلاَ يُجَاوِرَ مِنَ النَّاسِ — مَا آستَطَاعَ — إِلاَّ ذَا فَضْلٍ فى الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْأَخْلاَقِ، فَيَأْخُذَ عَنْهُ ؛ أَوْ مُوَافِقًا لَهُ عَلَى إِصْلاَحِ ذَلِكَ : فَيُؤَيِّدَ مَا عِنْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ فَضْلٌ •

فَإِنَّ الْخِصَالَ الصَّالِحَةَ مِنَ الْبِرِّ لاَ تَحْيَا وَلاَ تَنْمِى إِلاَّ بِالْمُوَافِقِينَ وَالْمُؤَيِّدِينَ . وَلَيْسَ لِذِى الْفَضْلِ قَرِيبٌ وَلاَ حَمِيمٌ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِمَّنْ وافَقَهُ عَلى صَالِحِ الْخِصَالِ فَزَادَهُ وَثَبَّتَهُ •

وَلِذَلِكَ زَعَمَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ أَنَّ صُحْبَةَ بَلِيدٍ نَشَأَ مَعَ

الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نَشَا مَعَ ٱلْجُهَّالِ .

***

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لا يَحْزَنَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُ مِنَ الدُّنْيَا أَوْ تَوَلَّى ، وأَنْ يُنْزِلَ مَا أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ٱنْقَطَعَ عَنْهُ مَنْزِلَةَ مَالَمْ يُصِبْ ، وَيُنْزِلَ مَاطَلَبَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْهُ مَنْزِلَةَ مَالَمْ يَطْلُبْ . وَلَا يَدَعُ حَظَّهُ مِنَ السُّرُورِ بِمَا أَقْبَلَ مِنْهَا ، وَلا يَبْلُغَنَّ ذَلِكَ سُكْرًا وَلَا طُغْيَانًا . فَإِنَّ مَعَ السُّكْرِ النِّسْيَانَ ، وَمَعَ الطُّغْيَانِ التَّهَاوُنَ . وَمَنْ نَسِيَ وَتَهَاوَنَ ، خَسِرَ .

***

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُؤْنِسَ ذَوِي الأَلْبَابِ بِنَفْسِهِ وَيُجَرِّئَهُمْ عَلَيْهَا حَتَّى يَصِيرُوا حَرَسًا عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرَأْيِهِ : فَيَسْتَنِيمَ إِلَى ذَلِكَ وَيُرِيحَ لَهُ قَلْبَهُ ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ لَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ إِذَا

هوَ غفَلَ عَنْ نَفْسِهِ .

***

وَعلَى العَاقِلِ ـ مَا لَمْ يَـكُنْ مَغلُوبًا على نَفْسِهِ ـ أَنْ لاَ يَشغَلَهُ شغَلٌ عَنْ أَرْبَعِ سَاعاتٍ : سَاعةٍ يَرْفَعُ فِيها حَاجَتَهُ إِلى رَبِّهِ ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ ، وسَاعَةٍ يُفْضِي فِيهَا إِلى إِخْوَانِهِ وَثِقَاتِهِ الَّذِينَ يَصْـدُقُّونَهُ عَنْ عُيُوبِهِ وَيَنْصَحُونَهُ فِي أَمْرِهِ ، وَسَاعَةٍ يُخلِي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا مِمَّا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ . فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ عَلى السَّاعَاتِ الأُخَرِ ، وإِنَّ آستِجْمَامَ(١) القُلُوبِ وتَوْدِيعَهَا(٢) زِيادَةُ قُوَّةٍ لَهَا وفَضْلُ بُلْغَةٍ .

***

وعَلى العَاقِلِ انْ لاَ يَكُونَ رَاغِبًا إِلاَّ في إِحْـدَى ثَلاَثٍ :

---

(١) اي استراحتها (٢) اي تركها مستقرة مطمئنة

تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ، أَوْ مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فى غَيْرِ مُحَرَّمٍ .

***

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ طَبَقَتَيْنِ مُتَبَايِنَتَيْنِ ، وَيَلْبَسَ لَهُمْ لِبَاسَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ : فَطَبَقَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ ، يَلْبَسُ لَهُمْ لِبَاسَ انْقِبَاضٍ وَانْحِجَازٍ وَتَحَفُّظٍ فى كُلِّ كَلِمَةٍ وَخَطْوَةٍ ؛ وَطَبَقَةٌ مِنَ الْخَاصَّةِ ، يَخْلَعُ عِنْدَهُمْ لِبَاسَ التَّشَدُّدِ وَيَلْبَسُ لِبَاسَ الأَنَسَةِ وَاللَّطَفَةِ وَالْبِذْلَةِ وَالْمُفَاوَضَةِ . وَلَا يُدْخِلُ فى هَذِهِ الطَّبَقَةِ إِلَّا وَاحِدًا مِنَ الأَلْفِ وَكُلُّهُمْ ذُو فَضْلٍ فى الرَّأْيِ ، وَثِقَةٍ فى الْمَوَدَّةِ ، وَأَمَانَةٍ فى السِّرِّ ، وَوَفَاءٍ بِالإِخَاءِ .

***

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَسْتَصْغِرَ شَيْئًا مِنَ الْخَطَاءِ فى الرَّأْيِ،

والزّلَل في العِلم، والإغفال في الأمور. فإنه من استصغرَ الصغيرَ أوشكَ أنْ يجمعَ إليه صغيرًا وصغيرًا، فإذا الصغيرُ كبيرٌ. وإنما هي ثُلَمٌ يَثلمها العَجزُ والتضييعُ. فإذا لم تُسَدَّ أوشكتْ أنْ تتفجَّرَ بما لا يُطاقُ. ولم نرَ شيئًا قطُّ إلاّ قد أُوتيَ من قِبَلِ الصغيرِ المتهاوَن بهِ: قد رأينا المُلكَ يُؤتَي من العدوّ المحتقَر به، ورأينا الصحةَ تؤتَى من الداءِ الذي لا يُحفَلُ بِهِ، ورأينا الأنهارَ تَنبثقُ من الجدولِ الذي يُستَخَفُّ بِهِ.

وأقلُّ الأمورِ احتمالاً للضَّياعِ المُلكُ، لأنَّهُ ليسَ شيءٌ يَضيعُ ـ وإنْ كانَ صغيرًا ـ إلاَّ اتَّصلَ بآخرَ يكونُ عظيماً.

* * *

وعلى العاقل أنْ يجبُنَ عن المضيِّ على الرأيِ الذي لا

يَجِدُ عَلَيْهِ مُوَافِقًا، وإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ عَلَى الْيَقِينِ.

وعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الرَّأْيَ والْهَوَى مُتَعَادِيَانِ، وأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ تَسْوِيفَ الرَّأْيِ وإِسْعَافَ الْهَوَى. فَيُخَالِفُ ذَلِكَ ويَلْتَمِسُ أَنْ لا يَزَالَ هَوَاهُ مُسَوَّفًا ورَأْيُهُ مُسْعَفًا.

وعَلَى الْعَاقِلِ إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ فَلَمْ يَدْرِ فِي أَيِّهِمَا الصَّوَابُ أَنْ يَنْظُرَ أَهْوَاهُمَا عِنْدَهُ، فَيَحْذَرَهُ.

***

ومَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فِي الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ وتَقْوِيمِهَا فِي السِّيرَةِ والطُّعْمَةِ(١) والرَّأْيِ واللَّفْظِ والأَخْدَانِ. فَيَكُونَ تَعْلِيمُهُ بِسِيرَتِهِ أَبْلَغَ مِنْ تَعْلِيمِهِ بِلِسَانِهِ. فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ كَلَامَ الْحِكْمَةِ يُونِقُ الأَسْمَاعَ، فَكَذَلِكَ عَمَلُ

(١) اي وجه المكسب. يقال: فلان عفيف الطعمة. اي نقي المكسب

الحكمة يروق العيون والقلوب. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

***

ولاية الناس بلاء عظيم. وعلى الوالى اربع خصال هى أعمدة السلطان وأركانه التى بها يقوم وعليها يثبت : ألاجتهاد فى التخير، والمبالغة فى التقدم، والتعهد الشديد، والجزاء العتيد.

فأما التخير للعمال والوزراء، فإنه نظام الأمر ووضع مؤونة البعيد المنتشر. فإنه عسى أن يكون بتخيره رجلا واحدا قد اختار ألفا. لأنه من كان من العمال خيارا فسيختار كما اختير. ولعل عمال العامل وعمال عماله يبلغون عددا كثيرا. فمن تبين التخير فقد أخذ بسبب وثيق،

ومَنْ أسَّسَ أمْرَهُ على غيرِ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ لِبنائِهِ قِوامًا [١] .

وأمّا التّقديمُ والتّوكيدُ ، فإنّهُ لَيسَ كُلُّ ذي لُبٍّ أو ذي أمانةٍ يَعرِفُ وُجُوهَ الأُمُورِ والأعمالِ . ولَوْ كانَ بذلكَ عارفاً ، لَمْ يَكُنْ صاحِبُهُ حَقيقًا أنْ يَكِلَ ذلِكَ إلى عِلْمِهِ دُونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وتَبْيِينِهِ لَهُ والاحْتِجاجِ عَلَيْهِ بِهِ .

وامّا التّعهّدُ ، فإنَّ الوالي إذا فَعَلَ ذَلِك كانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ، وإنَّ العامِلَ إذا فُعِلَ ذلِكَ بِهِ كانَ مُتَحَصِّنًا حَرِيزًا .

وأمّا الجَزاءُ ، فإنّهُ تَثْبِيتُ المُحْسِنِ والرّاحةُ مِنَ المُسِيءِ .

***

لا يُسْتَطَاعُ السُّلْطانُ إلا بالوُزَرَاءِ والاعوانِ ، ولاَ يَنْفَعُ

---

(١) القوام بكسر القاف : نظام الامر وعماده وملاكه الذي يقوم به

الْوُزَرَاء إلاَّ بِالْمَوَدَّةِ والنَّصِيحَةِ ، ولاَ الْمَوَدَّةُ إلاَّ مَعَ الرَّأْي والْعَفَاف .

وأَعْمَالُ السُّلْطانِ كَثِيرَةٌ ، وقَلِيلٌ مااَسْتَجْمَعُ الْخِصالُ الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ أَحَدٍ . وإِنَّما الْوَجْهُ فى ذَلِكَ والسَّبِيلُ الَّذِى بِهِ يَسْتَقِيمُ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صاحِبُ السُّلْطانِ عالِمًا بِأُمُورِ مَن يُرِيدُ الاَسْتِعانَةَ بِهِ ، وما عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ والْغَنَاء ، وما فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ . فإِذَا اَسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ ، عَنْ عِلْمِهِ وعِلْمِ مَنْ يَأْتَمِنُ ، وَجَّهَ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ والنَّجْدَةِ والأَمانَةِ ما يَحْتاجُ إِلَيْهِ فِيهِ ، وأَنَّ ما فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ لاَ يَضُرُّ بِذَلِكَ ؛ ويَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوَجِّهَ أَحَدًا وَجْهًا لايَحْتَاجُ فِيهِ إِلى مُرُوءَةٍ ـ إِنْ كانَتْ عِنْدَهُ ـ ولاَ يأْمَنُ عُيُوبَهُ وما يَكْرَهُ مِنهُ .

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ ، بَعْدَ ذَلِكَ ، تَعاهُدُ عُمالِهِمْ وتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ، حَتَّى لاَ يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسانُ مُحْسِنٍ ولاَ إِساءَةُ مُسِيءٍ •

ثُمَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ ، أَنْ لاَ يَتْرُكُوا مُحْسِناً بِغَيْرِ جزَاءٍ، ولا يُقِرُّوا مُسِيئاً ولاَ عاجِزاً عَلَى الإِساءَةِ والْعَجْزِ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ ، تَهاوَنَ الْمُحْسِنُ ، واجْتَرَأَ الْمُسِيءُ ، وفَسَدَ الْأَمْرُ ، وضاعَ الْعَمَلُ •

* * *

اِقْتِصارُ السَّعْيِ إِبْقاءٌ لِلْجَمامِ [1] ، وفِي بُعْدِ الْهِمَّةِ يَكُونُ النَّصَبُ . ومَنْ سَأَلَ فَوْقَ قُدْرَتِهِ اسْتَحَقَّ الْحِرْمانَ . وسُوءُ حَمْلِ الْغِنَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْفَرَحِ مَرِحاً ، وسُوءُ حَمْلِ الْفاقَةِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شَرِهاً . وعارُ الْفَقْرِ أَهْوَنُ مِنْ عارِ الْغِنَى.

(١) اي الراحة

والحَاجةُ مَعَ الْمحبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْبِغْضَةِ .

***

الدُّنْيا دُوَلٌ . فَمَا كانَ لَكَ مِنْها أَتاكَ عَلى ضَعفك ، وما كان عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتكَ .

***

إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلاً ، كانَ ذَلِكَ أَوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ وأَبْيَنَ فى الْمَعْنَى وآنَقَ لِلسَّمْعِ وأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ .

***

أَشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ ، وأَشَدُّ الْوَحْدَةِ وَحْدَةَ اللجُوجِ . ولاَ مالَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَقْل ، ولاَ أَنِيسَ آنَسُ مِنَ الاسْتِشارَةِ .

***

مِمَّا يُعتَبَرُ بِهِ صَلَاحُ الصالِحِ وحُسْنُ نَظرِهِ لِلنَّاسِ ،

انْ يَكُونَ إِذَا آسْتَعْتَبَ الْمُذْنِبَ سَتُورًا لاَ يُشِيعُ وَلاَ يُذِيعُ ، وإِذَا آسْتُشِيرَ سَمْحًا بِالنصِيحَةِ مُجْتَهِدًا لِلرَّأيِ ، وإِذَا آسْتَشَارَ مُطَّرِحًا لِلْحَيَاءِ مُنَفِّذًا لِلْحَزْمِ مُعْتَرِفًا لِلْحَقِّ .

***

أَقْسَمُ(١) الَّذِي يُقْسَمُ لِلنَّاسِ ويُمَتَّعُونَ بِهِ نَحْوَانِ : فَمِنْهُ حَارِسٌ ومِنْهُ مَحْرُوسٌ. فالْحَارِسُ الْعَقْلُ ، والْمَحْرُوسُ الْمَالُ . والْعَقْلُ - بِإِذْنِ اللهِ - هُوَ الَّذِي يُحْرِزُ الْحَظ ، ويُؤْنِسُ الْغُرْبَةَ وَيَنْفِي الْفَاقَةَ ، ويُعَرِّفُ النَّكِرَةَ ، ويُثَمِّرُ الْمَكْسَبَةَ ، ويُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ ، ويُوَجِّهُ السُّوقَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، ويَسْتَنْزِلُ لِلسُّلْطَانِ نَصِيحَةَ السُّوقَةِ ، ويُكْسِبُ الصَّدِيقَ ، ويَكْفِي الْعَدُوَّ .

***

---

(١) اى العطاء او الرزق . ولا يستعمل الا مفرداً فلا جمع له

كَلَامُ اللَّبِيبِ — وإِنْ كَانَ نَزْرًا — أَدَبٌ عَظِيمٌ. ومُفَارَقَةُ الْمَأْثَمِ — وإِنْ كَانَ مُحْتَقَرًا — مُصِيبَةٌ جَلِيلَةٌ. ولِقَاءُ الإِخْوَانِ — وإِنْ كَانَ يَسِيرًا — غُنْمٌ حَسَنٌ.

***

قَدْ يَسْعَى إِلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ. أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌّ، وأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ، وأَمَّا ذُو الْأَدَبِ فَطَالِبٌ، وأَمَّا مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ فَمُخْتَلِسٌ، وأَمَّا الْقَوِيُّ فَمُدَافِعٌ، وأَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ، وأَمَّا الْمُحْسِنُ فَمُسْتَثِيبٌ، وأَمَّا الْمُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ. فَهُوَ مَجْمَعُ الْبَرِّ والْفَاجِرِ، والْعَالِمِ والْجَاهِلِ، والشَّرِيفِ والْوَضِيعِ.

***

أَلنَّاسُ — إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللهُ — مَدْخُولُونَ فِى أُمُورِهِمْ :

فَقَائِلُهُمْ بَاغٍ ، وسَامِعُهُمْ عَيَّابٌ، وسائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ، ومُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ ، ووَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَولِهِ بِالْفِعْلِ ، ومَوْعُوظُهُمْ غَيْرُ سَالِمٍ مِنَ الاسْتِخْفَافِ ، والأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِن إِتْيَانِ الخِيانَةِ ، والصَّدُوقُ غَيْرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الكَذَبَةِ ، وذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ عَنْ تَفْرِيطِ الْفَجَرَةِ ، والْحَازِمُ مِنْهُم غَيْرُ تَارِكٍ لِتَوَقُّعِ الدَّوائِرِ .

يَتَنَاقَضُونَ الْبِنَاءَ ، ويَتَرَاقَبُونَ الدُّوَلَ ، ويَتَعَايَبُونَ بِالْهَمْزِ . مُولَعُونَ فى الرَّخَاءِ بِالتَّحَاسُدِ ، وفى الشِّدَّةِ بِالتَّخَاذُلِ .

***

كَمْ قَدِ انْتُزِعَتِ الدُّنْيَا مِمَّنِ اسْتَمْكَنَ مِنْهَا واعْتَكَفَتْ لهُ ! فَأَصْبَحَتِ الأَعْمَالُ أَعْمَالَهُمْ والدُّنْيا دُنْيا غَيْرِهِمْ ، واخَذَ مَتَاعَهُمْ مَنْ لَمْ يَحْمَدْهُمْ ، وخَرَجُوا إِلى مَنْ لاَ يَعْذُرُهُمْ .

فأصبحنا خلفاً من بعدهم ، نتوقع مثل الذي نزل بهم .
فنحن ، إذا تدبرنا أمورهم ، أحقاء أن ننظر ما نغبطهم به فنتبعه وما نخاف عليهم منه فنجتنبه .

***

كان يقال إن الله تعالى قد يأمر بالشيء ويبتلي بثقله ، وينهى عن الشيء ويبتلي بشهوته .

فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيته ولا تترك من الشر إلا ما كرهته ، فقد أطلعت الشيطان على عورتك وأمكنته من رمتك(١) . فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك ، وفيما تكره من الشر فيحببه إليك . ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من

(١) اي مقودك

الْخَـيْرِ التَّحَامُلُ عَلَى ما يُسْتَثْقَلُ مِنْهُ؛ وَيَنْبَغِي لَكَ فى كَرَاهَةِ ما تَـكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ التَّحَبُّبُ لِمَا يُحَبُّ مِنْهُ .

***

الدُّنْيا زُخْرُفٌ يَغْلِبُ الْجَوَارِحَ ، ما لَمْ تَغْلِبْهُ الْأَلْبابُ . والْحَكِيمُ مَنْ يُغْضِي عَنْـهُ ولَمْ يَشْغَلْ بِهِ قَلْبَـهُ : إِطَّلَعَ مِنْ أَدْنَاهُ فِيمَا وراءَهُ ، وذَكَرَ لَوَاحِقَ شَرِّهِ ، فأَكَلَ مُرَّهُ وشَرِبَ كَدِرَهُ لِيَحْلَوْلِيَ لَهُ وِيَصْفُوَ فى طُولِ مِنْ إِقامَةِ الْعَيْشِ الذِى يَبْقَى ويَدُومُ ، غَـيْرَ عائِفٍ لِلرُّشْدِ إِنْ لَمْ يَأْتِهِ بِرِضاهُ ، ولَمْ يَأْتِهِ مِنْ طَرِيقِ هَوَاهُ .

***

لاَ تَأْلَفِ الْمُسْتَوْخِمَ ، ولَاَ تُقِمْ عَلَى غَـيْرِ الثِّقَةِ .

***

قَدْ بَلَغَ فَضْلُ اللهِ عَلَى النَّاسِ مِنَ السَّعَةِ وبَلغَتْ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّبُوغِ ، مالَوْ أَنَّ أَخَسَّهُمْ حَظًّا وأَقَلَّهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا وأَضْعَفَهُمْ عِلْمًا وأَعْجَزَهُمْ عَمَلاً وأَعْياهُمْ لِساناً ، بَلَغَ مِنَ الشُّكْرِ لَهُ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا خَاصَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ ووَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نِعمَتِهِ مَا بَلَغَ لَهُ مِنْهُ أَعْظَمُهُمْ حَظًّا وأَوْفَرُهُمْ نَصِيبًا وأَفْضَلُهُمْ عِلْمًا وأَقْوَاهُمْ عَمَلاً وأَبْسَطُهُمْ لِساناً ، لَكَانَ عَمَّا اسْتَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ مُقَصِّرًا وعَنْ بُلُوغِ غايَةِ الشُّكْرِ بَعِيدًا •

ومَنْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ شُكْرِ اللهِ وحَمْدِهِ ومَعْرِفَةِ نِعَمِهِ والثَّنَاءِ عَلَيْهِ والتَّحْمِيدِ لَهُ ، فَقَدِ اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ مِنْ أَدائِهِ إِلَى اللهِ والقُرْبَةِ عِنْدَهُ والوَسِيلَةِ إِلَيْهِ والمَزِيدِ فِيما شَكَرَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وحُسْنِ ثَوابِ الآخِرَةِ •

*
* *

افضَلُ ما يُعَلَّمُ بِهِ عِلمُ ذِى العِلْمِ ، وصَلَاحُ ذِى الصلاحِ أَنْ يَستَصلِحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ مَا استَطاعَ مِنَ النَّاسِ ويُرَغِّبَهُمْ فيما رَغِبَ فيهِ لِنفسِهِ مِنْ حُبِّ اللهِ ، وحُبِّ حِكْمَتِهِ ، والعَمَلِ بِطَاعتِهِ ، والرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثوابِهِ فى المَعَادِ إِلَيْهِ ، وأَنْ يُبَيِّنَ الذِى لَهُمْ مِنَ الأَخذِ بِذَلِكَ والَّذِى عَلَيهِمْ فى تَرْكِهِ ، وأَنْ يُوَرِّثَ ذَلِكَ أَهْلَهُ ومَعَارِفَهُ لِيَلْحَقَهُ أَجرُهُ مِنْ بَعْدِ المَوْتِ .

*
* *

الدِّينُ أَفْضَلُ المَوَاهِبِ التِى وصَلَتْ مِنَ اللهِ إِلى خَلْقِهِ ، وأَعْظَمُهَا مَنْفَعَةً ، وأحمَدُهَا فى كُلِّ حِكْمَةٍ . فَقَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدِّينِ والحِكْمَةِ أَنْ مُدِحَا عَلَى أَلْسِنَةِ الجُهَّالِ ، عَلَى جَهَالَتِهِمْ بِهِمَا وعَمَاهُمْ عَنْهُمَا .

***

أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ، وأَحَقُّهُمْ بِالتَّدْبِيرِ الْعُلَمَاءُ ، وأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ ، وأَحَقُّهُمْ بِالْعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيبًا ، وأَحَقُّهُمْ بِالْغِنَى أَهْلُ الْجُودِ ، وأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَذُهُمْ فِى الْحَقِّ عِلْمًا وأَكْمَلُهُمْ بِهِ عَمَلاً ، وأَحْكَمُهُمْ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الشَّكِّ فِى اللهِ ، وأَصْوَبُهُمْ رَجَاءً أَوْثَقُهُمْ بِاللهِ ، وأَشَدُّهُمْ انْتِفَاعًا بِعِلْمِهِ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْأَذَى ، وأَرْضَاهُمْ فِى النَّاسِ أَفْشَاهُمْ مَعْرُوفًا ، وأَقْوَاهُمْ أَحْسَنُهُمْ مَعُونَةً ، وأَشْجَعُهُمْ أَشَدُّهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ ، وأَفْلَحُهُمْ بِحُجَّةٍ أَغْلَبُهُمْ لِلشَّهْوَةِ والْحِرْصِ ، وآخَذُهُمْ بِالرَّأْيِ أَتْرَكُهُمْ لِلْهَوَى ، وأَحَقُّهُمْ بِالْمَوَدَّةِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ حُبًّا ، وأَجْوَدُهُمْ أَصْوَبُهُمْ بِالْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا ، وأَطْوَلُهُمْ رَاحَةً أَحْسَنُهُمْ لِلْأُمُورِ احْتِمَالاً ، وأَقَلُّهُمْ دَهَشًا أَرْحَبُهُمْ ذِرَاعًا ،

وأوسعهم غنى أقنعهم بما أوتي ، وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الإفراط ، وأظهرهم جمالاً أظهرهم حصافة ، وآمنهم في الناس آكلهم نابا ومخلبا ، وأثبتهم شهادة عليهم أنفقهم عنهم ، وأعدلهم فيهم أدومهم مسالمة لهم ، وأحقهم بالنعم اشكرهم لما أوتي منها .

***

أفضل ما يورث الآباء الأبناء ، الثناء الحسن والأدب النافع والإخوان الصالحون .

***

فصل ما بين الدين والرأي ، أن الدين يسلم بالإيمان ، وأن الرأي يثبت بالخصومة . فمن جعل الدين خصومة ، فقد جعل الدين رأيا ؛ ومن جعل الرأي دينا ، فقد صار شارعا ؛ ومن

كانَ هُوَ يَشْرعُ لِنَفْسِهِ الدِّينَ، فَلَا دِينَ لَهُ .

قَدْ يَشْتَبِهُ الدِّينُ والرَّأْيُ فى أَمَاكِنَ، لَوْلَا تَشَابُهُهُمَا لَمْ يَحْتَاجَا إلى الفَصْلِ .

***

أَلْعُجْبُ آفَةُ الْعَقْلِ ؛ واللَّجاجَةُ قُعُودُ الْهَوَى؛ والْبُخْلُ لِقَاحُ الحِرْصِ؛ والْمِرَاءُ فَسَادُ اللِّسَانِ؛ والحَمِيَّةُ سَبَبُ الجَهْلِ؛ والأَنَفُ تَوْأَمُ السَّفَهِ؛ والمُنَافَسَةُ أُخْتُ العَدَاوَةِ .

***

إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ هَوَاكَ، لَا يَغْلِبْكَ؛ وإذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّفْ هَوَاكَ، لَعَلَّكَ تَظْفَرُ. فَإِنَّ ما مَضَى مِنَ الأَيَّامِ والسَّاعاتِ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الغُنْمُ .

***

لَا يَمْنَعَنَّكَ صِغَرُ شَأْنِ امْرِئٍ مِنَ اجْتِنَاءِ مارَأَيْتَ مِنْ رَأْيِهِ

صَوَابًا ، والاصْطِفَاءِ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ أَخْلاَقِهِ كَرِيمًا . فَإِنَّ اللُّؤْلُؤَةَ الفَائِقَةَ لاَ تُهَانُ لِهَوَانِ غائِصِهَا الَّذِي اسْتَخْرَجَهَا .

***

مِنْ ابْوَابِ التَّوَفُّقِ والتَّوْفِيقِ فى التَّعَلُّمِ ، أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ العِلْمِ والأَدَبِ فِيما يُوافِقُ طَاعَةً ويَكُونَ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وقَبُولٌ . فَلاَ يَذْهَبُ عَنَاؤُهُ فى غَيْرِ غَنَاءٍ ، ولَا تَفْنَى أَيَّامُهُ فى غَيْرِ دَرْكٍ ، ولَا يَسْتَفْرِغُ نَصِيبَهُ فِيما لَا يَنْجَعُ فِيهِ ، ولَا يَكُونُ كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُعَمِّرَ أَرْضًا تَهِمَةً(١) فَغَرَسَها جَوْزًا ولَوْزًا ، وَأَرْضًا جَلْسًا(٢) فغرسهَا نَخْلاً وموْزًا .

---

(١) الارض المتصوبة الى البحر

(٢) الجلس : الارض الغليظة ، وما ارتفع عن الغور

***

أَلْعِلْمُ زَيْنٌ لِصَاحِبِهِ فِى الرَّخَاءِ وَمَنْجَاةٌ لَهُ فِى الشِّدَّةِ .

***

بِالْأَدَبِ تَعْمُرُ الْقُلُوبُ ، وَبِالْعِلْمِ تُسْتَحْكَمُ الْأَحْلَامُ .

***

الْعَقْلُ الذَّاتِيُّ غَيْرُ الصَّنِيعِ كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ الْخَرَابِ .

***

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ وَسَبَبُ الْإِيمَانِ أَنْ يُوَكِّلَ بِالْغَيْبِ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنَ الدُّنْيَا (صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ) عَيْنًا : فَهُوَ يُصَرِّفُهُ وَيُحَرِّكُهُ . فَمَنْ كَانَ مُعْتَبِرًا بِالْجَلَايِلِ مِنْ ذَلِكَ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَسَيَعْلَمُ أَنَّ لَهَا رَبًّا يُجْرِى فَلَكَهَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا ؛ وَمَنِ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ فَسَيَعْرِفُ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنْبِتُهَا وَيُزْكِيهَا وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتَهَا مِنَ الْأَرْضِ

وَالْمَاءِ ، يُوَقِّتُ لهَا زَمَانَ نَبَاتِهَا وزَمَانَ تَهَشُّمِهَا ؛ وأَمْرِ النُّبُوَّةِ وَالأَحْلامِ وَمَا يَحدُثُ فى أَنفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ ، ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهُمْ بِالقَوْلِ والفِعْلِ ؛ ثُمَّ اَجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ والجُهَّالِ وَالْمُهْتَدِين والضُّلاَّلِ عَلَى ذِكْرِ اللهِ وتَعْظِيمِهِ ، وَاَجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ فى اللهِ وكَذبَ بِهِ على الإِقْرَارِ بِأنهُمْ انْشِئُوا حدِيثا ، ومَعْرِفَتِهِمْ انَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا انْفُسَهُمْ .

فكل ذَلِكَ يَهْدِى إِلى اللهِ ويَدُلُّ على الَّذِى كانَتْ مِنْهُ هذِهِ الأمُورُ ، مع مَا يَزِيدُ ذَلِك يَقِيناً عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ بِانَّ اللهَ حَقٌّ كَبِيرٌ ولاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلى أَنْ يُوقِنَ أَنَّهُ بِالْبَاطِلِ .

***

إِنَّ لِلسُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ حَقًّا لاَ يَصْلُحُ بِخَاصةٍ ولاَعامةٍ أَمْرٌ إِلا بِإِرادَتِهِ . فَذَوُواللُّبِّ حقِيقٌ انْ يُخْلِصَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ ، ويَبْذُلَ

لهم الطاعة ، ويكتم سرهم ، ويزين سيرتهم ، ويذب بلسانه ويده عنهم ، ويتوخى مرضاتهم ، ويكون من أمره المؤاتاة لهم والايثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه ، ويقدر الامور على موافقتهم وإن كان ذلك له مخالفا ؛ وان يكون منه الجد في المخالفة لمن جانبهم وجهل حقهم ، ولا يواصل من الناس إلا من لا تباعد مواصلته إياه منهم ، ولا تحمله عداوة أحد له ولا إضرار به على الاضطغان(١) عليهم ، ولا مؤاتاة أحد على الاستخفاف بشيء من امرهم والانتقاص لشيء من حقهم ، ولا يكتمهم شيئا من نصيحتهم ، ولا يتثاقل عن شيء من طاعتهم ، ولا يبطر إذا أكرموه ، ولا يجترىء عليهم إذا قربوه ، ولا يطغى إذا سلطوه ، ولا يلحف إذا سألهم ، ولا

---

(١) اي حمل الضغينة وهي الحقد

يُدْخِلَ عَلَيْهِمُ الْمَؤُونَةَ ، وَلَا يَسْتَثْقِلَ مَاحَمَّلُوهُ ، وَلَا يَعْتَزَّ عَلَيْهِمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ ، وَلَا يَتَغَيَّرَ لَهُمْ إِذَا سَخِطُوا عَلَيْهِ وَأَنْ يَحْمَدَهُمْ عَلَى مَا أَصَابَ مِنْ خَيْرٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُصِيبَهُ بِخَيْرٍ إِلَّا بِدِفَاعِ اللهِ عَنْهُ بِهِمْ .

*
* *

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْعَالِمِ مَعْرِفَتُهُ مَا يُدْرَكُ مِنَ الْأُمُورِ وَإِمْسَاكُهُ عَمَّا لَا يُدْرَكُ وَتَزْيِينُهُ نَفْسَهُ بِالْمَكَارِمِ وَظُهُورُ عِلْمِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ وَلَا عُجْبٌ وَمَعْرِفَتُهُ زَمَانَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَبَصَرُهُ بِالنَّاسِ وَأَخْذُهُ بِالْقِسْطِ وَإِرْشَادُهُ الْمُسْتَرْشِدَ وَحُسْنُ مُخَالَقَتِهِ خُلَطَاءَهُ وَتَسْوِيَتُهُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَتَحَرِّيهِ الْعَدْلَ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَرَحْبُ ذَرْعِهِ فِيمَا نَابَهُ وَاحْتِجَاجُهُ بِالْحُجَجِ فِيمَا عَمِلَ وَحُسْنُ تَبْصِيرِهِ .

من أَرَادَ أَنْ يَبْصُرَ شَيْئا مِنْ عِلْمِ الآخِرَةِ ، فَالْعِلْمُ الَّذى يَعْرِفُ بِهِ ذَلِكَ ، ومَنْ أَرَادَ ان يَبْصُرَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَبِالْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ تَدُلُّ عَلَيْهِ .

* * *

لِيَكُنِ الْمَرْءُ سَؤُولاً ؛ وَلْيَكُنْ فَصُولاً بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، وَلْيَكُنْ صَدُوقًا لِيُؤَمَّنَ عَلى ما قالَ ، وَلْيَكُنْ ذَا عَهْدٍ لِيُوَفَّى لَهُ بِعَهْدِهِ ، وَلْيَكُنْ شَكُورًا لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيادَةَ ، وَلْيَكنْ جوَادًا لِيَكُونَ لِلْخَيْرِ أَهلاً ، وَلْيَكُنْ رحِيماً بِالْمَضْرُورِين لِئَلاَّ يُبْتَلَى بِالضُّرِّ ، وَلْيَكُنْ وَدُودًا لِئَلاَّ يَكُونَ مَعْدِنًا لِأَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ ، وَلْيَكُنْ حَافِظًا لِلِسَانِهِ مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ لِئَلاَّ يُؤْخَذَ بِمَا لَمْ يَجْتَرِمْ ، وَلْيَكُنْ مُتَوَاضِعًا لِيَفْرَحَ لَهُ بِالْخَيْرِ وَلَا يُحْسَدَ عَلَيْهِ ، وَلْيَكُنْ قَنِعًا لِتَقَرَّ عَيْنُهُ بِمَا أُوتِيَ ، وَلْيُسَرَّ لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ لِئَلاَّ يُؤْذِيهِ

الحَسَدُ ، ولْيَكُنْ حَذِرًا لِئَلاَّ تطُولَ مَخَافَتُهُ ، ولَا يَكُونَنَّ حقودًا لِئَلاَّ يَضُرَّ بِنَفْسِهِ إِضْرَارًا بَاقِيًا ، ولْيَكُنْ ذَا حَيَاءٍ لِئَلاَّ يُسْتَذَمَّ إِلى العُلَمَاءِ . فَإِنَّ مَخَافَةَ العَالِمِ مَذَمَّةَ العُلَمَاءِ أَشَدُّ مِنْ مَخَافَتِهِ عُقُوبَةَ السُّلْطَانِ •

*
* *

حَيَاةُ الشَّيْطَانِ تَرْكُ الْعِلْمِ ، ورُوحُهُ وجَسَدُهُ الْجَهْلُ ، ومَعْدِنُهُ فى أَهْلِ الحِقْدِ والقَسَاوَةِ ، ومَثْوَاهُ فى أَهْلِ الْغَضَبِ ، وعَيْشُهُ فى الْمُصَارَمَةِ(١) ، ورَجَاؤُهُ فى الْإِصْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ •

***

وقالَ : لَا يَنْبَغِى لِلْمَرْءِ أَنْ يَعْتَدَّ بِعِلْمِهِ ورَأْيِهِ مالَمْ يُذَاكِرْهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ ولَمْ يُجَامِعُوهُ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُسْتَكْمَلُ عِلْمُ الْأَشْيَاءِ

(١) المقاطعه والتنافر

بالعَقلِ الفَرْدِ .

***

أَعدَلُ السّيَرِ أَنْ تَقِيسَ النَّاسَ بِنَفْسِكَ ، فَلاَ تَأْتِي إِلَيْهِمْ إلاَّ مَاتَرْضَى أَنْ يُؤْتَي إِلَيْكَ .

***

وَأَنْفَعُ الْعَقْلِ أَنْ تُحْسِنَ الْمَعيشَةَ فِيما أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ ، وأَنْ لاتَكْتَرِثَ مِنَ الشَّرِّ بِمَا لَمْ يُصِبْكَ .

***

وَمِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ بِمَا لاَ تَعْلَمُ .

***

وَمِنْ أَحْسَنِ ذَوِى الْعُقُولِ عَقْلاً مَنْ أَحْسَنَ تَقْدِيرَ أَمْرِ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ تَقْدِيرًا لاَ يُفْسِدُ عَلَيْهِ واحِدًا مِنْهُمَا نَفَادُ الآخَرِ . فَإِنْ

أَعْيَاهُ ذَلِكَ رَفَضَ الْأَدْنَى وآثَرَ عَلَيْهِ الْأَعْظَمَ .

***

وَقَالَ: أَلْمُؤْمِنُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، وإِنْ كَانَ سِحْرًا ، خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا .

***

لَا تُؤَدِّى التَّوْبَةُ أَحَدًا إِلَى النَّارِ ، وَلَا الْإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوب احَدًا إِلَى الْجَنَّةِ .

***

مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ ثَلَاثُ خِصَالٍ : أَلصِّدْقُ فِى الْغَضَبِ ، والْجُودُ فِى الْعُسْرَةِ ، والْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ .

***

رَأْسُ الذُّنُوبِ الْكَذِبُ : هُوَ يُؤَسِّسُهَا وهُوَ يَتَفَقَّدُهَا وَيُثَبِّتُهَا . وَيَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ: بِالْأُمْنِيَّةِ ، والْجُحُودِ ، والْجَدَلِ .

يَبْدُو لِصَاحِبِهِ بِالْأُمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِيمَا يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ فَيُشَجِّعهُ عَلَيْهَا بِأَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَى. فَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابَلَهُ بِالْجُحُودِ وَالْمُكَابَرَةِ، فَإِنْ أعْيَاهُ ذَلِكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ، فَخَاصَمَ عَنِ الْبَاطِلِ وَوَضَعَ لَهُ الْحُجَجَ وَالْتَمَسَ بِهِ التَّثَبُّتَ وَكَابَرَ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ وَمُكَابِرًا بِالْفَوَاحِشِ.

***

لَا يَثْبُتُ دِينُ الْمَرْءِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ إِمَّا زَائِدًا وَإِمَّا نَاقِصًا.

***

مِنْ عَلَامَاتِ اللَّئِيمِ الْمُخَادِعِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْقَوْلِ سَيِّءَ الْفِعْلِ، بَعِيدَ الْغَضَبِ، قَرِيبَ الْحَسَدِ، حَمُولاً لِلْفُحْشِ،

مُجازِيًا بِالحِقْدِ، مُتَكَلِّفًا لِلْجُودِ، صَغِيرَ الخَطَرِ، مُتَوَسِّعًا فِيما لَيْسَ لَهُ، ضَيِّقًا فِيما يَمْلِكُ.

***

وكانَ يُقالُ: إذا تَخالَجَتْكَ الأُمورُ، فَاشْتَغِلْ بِأعْظَمِها خَطَرًا؛ فإنْ لَمْ تَسْتَبِنْ ذَلِكَ، فَأَرْجاها دَرَكًا. فإنِ اشْتَبَهَ ذَلِكَ، فاحْذَرْها أَنْ لا يَكُونَ لَهُ مَرْجُوعٌ حَتَّى تُوَلِّيَ فُرْصَتُهُ.

***

وكانَ يُقالُ: الرِّجالُ أَرْبَعَةٌ: إثْنانِ تَخْتَبِرُ ما عِنْدَهُما بِالتَّجْرِبَةِ، واثْنانِ قَدْ كُفِيتَ تَجْرِبَتَهُما.

فَأَمَّا اللَّذانِ تَحْتاجُ إلى تَجْرِبَتِهِما، فإنَّ أَحَدَهُما بَرٌّ كانَ مَعَ ابْرارٍ، والآخَرَ فاجِرٌ كانَ مَعَ فُجّارٍ. فإنَّكَ لاتَدْرِي لَعَلَّ الْبَرَّ مِنْهُما إذا خالَطَ الفُجّارَ انْ يَتَبَدَّلَ فَيَصِيرَ فاجِرًا، ولَعَلَّ

الْفَاجِرَ مِنْهُمَا إِذَا خَالَطَ الْأَبْرَارَ أَنْ يَتَبَدَّلَ بَرًّا : فَيَتَبَدَّلُ الْبَرُّ فَاجِرًا والْفَاجِرُ بَرًّا ·

وأَمَّا اللَّذَانِ قَدْ كُفِيتَ تَجْرِبَتَهُمَا وتَبَيَّنَ لكَ ضَوْءُ أَمْرِهِمَا ، فَإِنَّ أَحَدَهُمَا فَاجِرٌ كَانَ فى أَبْرَارٍ ، والْآخَرَ بَرٌّ كَانَ فى فُجَّارٍ ·

***

حَقٌّ علَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّخِذَ مِرْآتَيْنِ : فَيَنْظُرَ مِنْ إِحْدَاهُمَا في مَسَاوِئِ نَفْسِهِ ، فَيَتَصَاغَرَ بِهَا ويُصْلِحَ مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْهَا ؛ وَيَنْظُرَ فى الْأُخْرَى فى مَحَاسِنِ النَّاسِ ، فَيُحَلِّيَهُمْ بِهَا ويَأْخُذَ مَا ٱسْتَطَاعَ مِنْهَا ·

***

إِحْذَرْ خُصُومَةَ الْأَهْلِ والْوَلَدِ والصَّدِيقِ والضَّعِيفِ ، وٱحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ ·

***

لَا يُوقِعَنَّكَ بَلاءٌ خَلَصْتَ مِنْهُ فى آخَرَ لَعَلَّكَ لَا تَخْلُصُ مِنْهُ .

***

أَلْوَرِعُ لَا يَخْدَعُ ، وَالْأَرِيبُ لَا يُخْدَعُ .

ومِنْ وَرَعِ الرَّجُلِ أَنْ لَا يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ ، ومِنَ الْإِرْبِ[1] أَنْ يَتَثَبَّتَ فِيمَا يَعْلَمُ .

***

وكانَ يُقَالُ : عَمَلُ الرَّجُلِ فِيمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ هَوًى (وَالْهَوَى آفَةُ الْعَفَافِ) ، وتَرْكُهُ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهَاوُنٌ (والتَّهَاوُنُ آفَةُ الدِّينِ) ، وإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَدْرِى

(١) الإرب (بكسر الألف وفتحها): الدهاء والبصر بالأمور. وهو من العقل.

اصوَابٌ هوَ أَمْ خطَأٌ جِمَاحٌ(١) (والجِمَاحُ آفةُ الْعَقْلِ) .

* * *

وكانَ يُقَالُ : وَقِّرْ مَنْ فَوْقَكَ ، ولِنْ لِمَنْ دُونَكَ ، وأَحْسِنْ مُؤَاتَاةَ (٢) أَكْفَائِكَ . ولْيَكُنْ آثَرَ ذَلِكَ عِنْدَكَ مُؤَاتَاةُ الإِخْوَانِ. فَإِنَّ ذَلِكَ هوَ الَّذِى يَشْهَدُ لَكَ بِأَنَّ إِجْلالَكَ مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بِخُضُوعٍ مِنْكَ لَهُمْ ، وأَنَّ لِينَكَ لِمَنْ دُونَكَ لَيْسَ لِالْتِمَاسِ خِدْمَتِهِمْ .

* * *

خَمْسَةٌ غَيْرُ مُغْتَبِطِينَ فى خَمْسَةِ أَشْيَاء ، يَتَنَدَّمُونَ عَلَيْهَا : أَلْوَاهِنُ الْمُفَرِّطُ إِذَا فَاتَهُ الْعَمَلُ ، والْمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وصَدِيقِهِ

(١) التمادى فى الغواية

(٢) المؤاتاة : الموافقة وحسن المطاوعة

إِذَا نَابَتْه النَّوائِبُ ، والْمُسْتَمْكِنُ مِنْهُ عَدُوُّه لِسُوءِ رَأْيِهِ إِذَا تَذَكَّرَ عَجْزَهُ ، والْمُفَارِقُ لِلزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ إِذَا آبْتُلِيَ بِالطَّالِحَةِ ، والْجَرِيءُ عَلَى الذُّنُوبِ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ •

***

أُمُورٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِقَرَائِنِهَا :

لَا يَنْفَعُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ وَرَعٍ ، وَلَا الْحِفْظُ بِغَيْرِ عَقْلٍ ، وَلَا شِدَّةُ الْبَطْشِ بِغَيْرِ شِدَّةِ الْقَلْبِ ، وَلَا الْجَمَالُ بِغَيْرِ حَلاوَةٍ ، وَلَا الْحَسَبُ بِغَيْرِ ادَبٍ ، وَلَا السُّرُورُ بِغَيْرِ أَمْنٍ ، وَلَا الْغِنَى بِغَيْرِ جُودٍ ، وَلَا الْمُرُوءَةُ بِغَيْرِ تَوَاضُعٍ ، وَلَا الْخَفْضُ بِغَيْرِ كِفَايَةٍ ، وَلَا الْاجْتِهَادُ بِغَيْرِ تَوْفِيق •

***

أُمُورٌ هُنَّ تَبَعٌ لِأُمُور :

فَالْمُرُوآتُ كُلُّهَا تَبَعٌ لِلعَقْلِ ، والرَّأْيُ تَبَعٌ لِلتَّجْرِبَةِ ، والْغِبْطَةُ تَبَعٌ لِحُسْنِ الثَّنَاءِ ، والسُّرُورُ تَبَعٌ لِلأَمْنِ ، والْقَرَابَةُ تَبَعٌ لِلْمَوَدَّةِ ، والْعَمَلُ تَبَعٌ لِلْقَدْرِ ، والْجِدَةُ تَبَعٌ لِلإِنْفَاقِ (١) .

***

أَصْلُ الْعَقْلِ التَّثَبُّتُ ، وثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ ؛ وأَصْلُ الْوَرَعِ الْقَنَاعَةُ ، وثَمَرَتُهُ الظَّفَرُ ؛ وأَصْلُ التَّوْفِيقِ الْعَمَلُ ، وثَمَرَتُهُ النُّجْحُ .

***

لَا يُذْكَرُ الْفَاجِرُ فى الْعُقَلَاءِ ، وَلَا الْكَذُوبُ فى الْأَعِفَّاءِ ، وَلَا الْخَذُولُ (٢) فى الْكُرَمَاءِ ، وَلَا الْكَفُورُ (٣) بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ .

***

لَا تُؤَاخِيَنَّ خَبًّا (٤) ، وَلَا تَسْتَنْصِرَنَّ عاجِزًا ، وَلَا تَسْتَمِينَنَّ

(١) فى الحديث الشريف : أنفق أُنفق عليك
(٢) تارك الاعانة والنصرة (٣) الذى يجحد النعمة ويسترها
(٤) الخب « بفتح الخاء وكسرها » : الرجل الخداع الخبيث

كَسلاً [1] .

* * *

ومنْ أَعظَمِ مَا يُرَوِّحُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَجْرِىَ لِمَا يَهْوَى ولَيْسَ كائِنًا ، إِلاَّ [2] لِمَا لَا يَهْوَى وهُوَ لَا مَحالَةَ كائِنٌ .

* * *

إِغْتَنِمْ مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعجَّلْتَ ، ومِنَ الْأَهْوَاءِ مَاسَوَّفْتَ ، وَمِنَ النَّصَبِ مَا عادَ عَلَيْكَ . ولَا تَفْرَحْ بِالْبَطَالَةِ ، ولَا تَجْبُنْ عَنِ الْعمَلِ .

* * *

مَنِ آسْتَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَبَطِرَ ، وآسْتَصْغَرَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَتَهَاوَنَ ، وآحْتَقَرَ مِنَ الْإِثْمِ شَيْئًا فَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ ، وآغْتَرَّ

(١) الكسل والكسلان مؤنثه كسلة وكسلي وكسلانة وكسول ومكسال . والكسل التثاقل عن الشيء والفتور فيه

(٢) هكذا في الأصل . ولعل الصواب : ولا لما يهوي

بِعَدُوٍّ وإِنْ قَلَّ فلَمْ يَحْذَرْهُ : فَذَلِكَ مِنْ ضَيَاعِ الْعَقْلِ •

* * *

لَا يَسْتَخِفُّ ذُو الْعَقْلِ بِأَحَدٍ •

وأَحَقُّ مَنْ لَمْ يُسْتَخَفَّ بِهِ ثلاثَةٌ : الْأَتْقِيَاء والْوُلَاةُ والْإِخْوَانُ.
فَإِنَّهُ مَنِ استَخَفَّ بِالاتقِيَاءِ، اهلَكَ دِينَهُ ؛ ومَن آستَخَفَّ بِالْوُلَاةِ،
أَهلَكَ دُنيَاهُ ؛ ومَنِ آستَخَفَّ بالْإِخْوَانِ ، أفسَدَ مُرُوءَتَهُ •

* * *

مَنْ حَاوَلَ الْأُمُورَ ، آحتَاجَ فِيهَا إِلى سِتٍّ : العِلمِ ،
والتَّوْفِيقِ ، والْفُرْصَةِ ، والْأَعْوَانِ ، والْأَدَبِ ، والآجتِهَادِ •

وهُنَّ أَزْوَاجٌ :

فالرَّأْيُ والأَدَبُ زوجٌ . لَا يَكْمُلُ الرَّايُ بِغَيْرِ الْأَدَبِ ، وَلَا
يَكْمُلُ الْأَدَبُ إِلا بالرَّايِ ؛ •

والْأَعْوَانُ والفُرْصَةُ زَوْجٌ . لَا يَنْفَعُ الْأَعْوَانُ إِلاَّ عِنْدَ الفُرْصَةِ، ولَا تَتِمُّ الفُرْصَةُ إِلاَّ بِحُضُورِ الْأَعْوَانِ ؛

والتَّوْفِيقُ والاجْتِهَادُ زَوْجٌ . فالاجْتِهَادُ سَبَبُ التَّوْفِيقِ، وبالتَّوْفِيقِ يَنْجَحُ الاجْتِهَادُ .

*
* *

يَسْلَمُ العَاقِلُ مِنْ عِظَامِ الذنُوبِ والعُيُوبِ بِالقَنَاعَةِ ومُحَاسَبَةِ النفْسِ .

*
* *

لا تَجِدُ العَاقِلَ يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ ، ولَا يَسْأَلُ مَنْ يَخَافُ مَنْعَهُ ، ولَا يَعِدُ بِمَا لَا يَجِدُ إِنْجَازَهُ ، ولَا يَرْجُو مَا يُعَنَّفُ بِرَجَائِهِ ، ولا يَقْدُمُ عَلَى مَنْ يَخَافُ العَجْزَ عَنْهُ .

وهُوَ يُسَخِّي (١) بِنَفْسِهِ عَمَّا يُغْبَطُ بِهِ القَوَّالُونَ خُرُوجًا مِنْ

(١) سخى نفسه وبنفسه يسخى اي ترك الامر ولم تنازعه نفسه فيه وهو قريب من قولهم فلان يربأ بنفسه ويترفع بها

عَيْبِ التَّكْذِيبِ ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَمَّا يَنَالُ السَّائِلُونَ(١) سَلَامَةً مِنْ مَذَلَّةِ الْمَسْأَلَةِ ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ مَحْمَدَةِ الْمَوَاعِيدِ بَرَاءَةً مِنْ مَذَمَّةِ الْخُلْفِ ، وَيَسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ فَرَحِ الرَّجَاءِ خَوْفَ الإِكْدَاءِ(٢) ، وَيُسَخِّيهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْمُقْدِمِينَ مَا يَرَى مِنْ فَضَائِحِ الْمُقَصِّرِينَ .

***

لَا عَقْلَ لِمَنْ أَغْفَلَهُ عَنْ آخِرَتِهِ مَا يَجِدُ مِنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ . وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ انْ يَحْرِمَهُ حَظَّهُ مِنَ الدُّنْيَا بَصَرُهُ بِزَوَالِهَا .

---

(١) اي عما يصيبه السائلون من مذلة المسألة

(٢) الاكداء هنا بمعني الخيبه . ومنه قول عائشة في وصف أبيها الصديق رضي الله عنهما : « سبق إذ ونيتم ، ونجح إذ أكديتم » اي ظفر إذ خبتم ولم تظفروا . وأصله من حافر البئر ينتهي الى كدية – صخرة صماء لا يعمل فيها الفأس – فلا يمكنه الحفر فيتركه ويرجع خائبا في عمله الذي كان يرجوه .

*
* *

حَازَ الْخَيْرَ رَجُلَانِ : سَعِيدٌ وَمَرْجُوٌّ .

فَالسَّعِيدُ الْفَالِجُ(1) ، وَالْمَرْجُوُّ مَنْ لَمْ يَخْصِمْ(2) .

*
* *

وَالْفَالِجُ الصَّالِحُ مَا دَامَ فِى قَيْدِ الْحَيَاةِ وَتَعَرُّضِ الْفِتَنِ فِى مُخَاصَمَةِ الْخُصَمَاءِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ .

*
* *

أَلسَّعِيدُ يُرَغِّبُهُ اللّٰهُ فِى الْآخِرَةِ حَتَّى يَقُولَ : لَا شَيْءَ غَيْرُهَا. فَإِذَا هَضَمَ دُنْيَاهُ وَزَهِدَ فِيهَا لِآخِرَتِهِ ، لَمْ يَحْرِمْهُ اللّٰهُ بِذَلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُنْقِصْهُ مِنْ سُرُورِهِ فِيهَا .

وَالشَّقِيُّ يُرَغِّبُهُ الشَّيْطَانُ فِى الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ : لَا شَيْءَ

---

(1) اى الفائز الغالب . وهو أيضاً الذى يعلو أصحابه ويفوتهم

(2) اى من لم يكن شديد الخصومة ولا يخاصم

غَـيْرُهَا. فيَجْعَلُ اللهُ لَهُ التَّنغِيصَ[1] فى الدُّنْيَا الَّـتِي آثَرَ مَعَ الخِزْيِ الَّذِي يَأْتِى بَعْدَهَا •

*
* *

أَلرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ : جَوَادٌ ، وبَخِيلٌ ، ومُسْرِفٌ ، ومُقْتَصِدٌ .

فَالجَـوَادُ الَّذِي يُوَجِّـهُ نَصِيبَ آخِرَتِهِ ونَصِيبَ دُنْيَـاهُ جَمِيعًا فِى أَمْرِ آخِرَتِهِ ؛

وَالْبَخِيلُ الَّذِي يُخْطِئُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا نَصِيبَهَا ؛

والْمُسْرِفُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا لِدُنْيَاهُ ؛

والْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُلْحِـقُ بِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا نَصِيبَهَا •

*
* *

أَغْنَى النَاسِ أَكْـثَرُهُمْ إِحْسَانًا •

---

(١) اي تكدير العيش وعدم إتمام المراد

*
* *

قَالَ رَجلٌ لِحَكِيم : مَا خَيرُ مَا يُؤْتَى الْمَرْءُ ؟ قَالَ : غَرِيزَةُ عَقْل .

قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ؟ قَالَ : فتعَلُّمُ عِلْم .

قَالَ : فإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : صِدْقُ اللِّسَانِ .

قَالَ : فَإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : سُكُوتٌ طَوِيلٌ .

قَالَ : فَإِنْ حُرِمَهُ ؟ قَالَ : مِيتَةٌ عاجِلَةٌ .

*
* *

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الإِنْسَانِ خَفَاءُ عُيُوبِهُ عَلَيْهِ . فإِنَّ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ ، خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ؛ ومَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ ومَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يُقْلِعَ عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لا يَعْرِفُ ولَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يُبْصِرُ أَبَدًا .

*
* *

خُمُولُ الذِّكْرِ أَجْمَلُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ .

*
* *

لَا يُوجَدُ الْفَخُورُ مَحْمُودًا ، ولَا الْغَضُوبُ مَسْرُورًا ، ولَا الْحُرُّ حَرِيصًا ، ولَا الْكَرِيمُ حَسُودًا ، ولَا الشَّرِهُ غَنِيًّا ، ولا الْمَلُولُ ذَا إِخْوَانٍ .

*
* *

خِصَالٌ يُسَرُّ بِهَا الْجَاهِلُ ، كُلُّهَا كَائِنٌ عَلَيْهِ وَبَالاً .

مِنْهَا ، أَنْ يَفْخَرَ مِنَ الْعِلْمِ والْمُرُوءَةِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ .

ومِنْهَا ، أَنْ يَرَى بِالْأَخْيَارِ مِنَ الاسْتِهَانَةِ والْجَفْوَةِ مَا يُشْمِتُهُ بِهِمْ .

ومِنْهَا ، أَنْ يُنَاقِلَ(١) عَالِمًا وَدِيعًا مُنْصِفًا لَهُ فِى الْقَوْلِ فَيَشْتَدَّ

(١) المناقلة المحادثة . والنقال "بنتحتين" : مراجعة الكلام في صخب . وهو المناقلة أيضاً

صَوْتُ ذَلِكَ الجَاهِلِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُفْلِجُهُ (١) نُظَرَاؤُهُ مِنَ الجُهَّالِ حَوْلَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ وَكَثْرَةِ الضَّحِكِ .

وَمِنْهَا ، أَنْ تَفْرُطَ مِنْهُ الْكَلِمَةُ أَوِ الفِعْلَةُ الْمُعْجِبَةُ لِلْقَوْمِ فَيَذْكُرَ بِهَا .

وَمِنْهَا ، أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فِي الْمَحْفِلِ وَعِنْدَ السُّلْطَانِ فَوْقَ مَجَالِسِ أَهْلِ الفَضْلِ عَلَيْهِ .

***

مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى سَخَافَةِ الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَكُونَ مَا يُرَى مِنْ ضَحِكِهِ لَيْسَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوْلِ ؛ أَوِ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ فَيُجَاذِبُهُ الْكَلَامَ لِيَكُونَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ ؛ أَوْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَغَ وَأَنْصَتَ لَهُ ، فَإِذَا نَصَتَ (٢)

(١) ينصره (٢) نصت وأنصت : سكت للاستماع

لَهُ ، لَمْ يُحْسِنِ الْكَلَامَ .

* * *

فضلُ(١) الْعِلْمِ فى غَيْرِ الدِّينِ مَهْلَكَة ، وكَثْرَةُ الْأَدَبِ فى غَيْرِ رِضْوَانِ اللهِ ومَنْفَعَةِ الْأَخْيَارِ قَائِدٌ إِلى النَّارِ .

* * *

والحِفْظُ الذَّاكِى الْوَاعِى لِغَيْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مُضِرٌّ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ . والْعَقْلُ غَيْرُ الْوَازِعِ عَنِ الذُّنُوبِ خَازِنُ الشَّيْطَانِ .

* * *

لاَ يُؤْمِنَنَّكَ شَرَّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ ولا جِوَارٌ ولا إِلْفٌ .

فإِنَّ أَخْوَفَ مَايَكُونُ الإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَايكون منها . وكَذَلِكَ الْجَاهِلُ : إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ ، وإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ ، وإِنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَالَا تُطِيقُ ، وإِنْ

---

(١) اي زيادته

عَاشَرَكَ آذاكَ وأَخافكَ. مَعَ انهُ عِنْدَ الْجوعِ سَبُعٌ ضارٍ، وَعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ، وعِنْدَ الْمُوافقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إِلى جَهَنَّمَ.

فأَنْتَ بالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الاسَاوِدِ(١) والْحَرِيقِ الْمَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ والدَّاءِ العياءِ.

***

وَكانَ يقَالُ: قَارِبْ عدُوَّكَ بَعْضَ الْمُقَارَبةِ، تَنَلْ حَاجَتَكَ؛ وَلاَ تُقَارِبْهُ كُلَّ الْمُقَارَبَةِ، فَيَجْتَرِىءَ عَلَيْكَ عدُوُّكَ وتَذِلَّ نَفْسُكَ وَيَرْغَبَ عنْكَ نَاصِرُكَ.

ومَثَلُ ذلِكَ مَثَلُ الْعُودِ الْمَنْصُوبِ فى الشَّمْسِ. إِنْ أَمَلْتَهُ قليلاً، زَادَ ظِلُّهُ؛ وإِنْ جَاوَزْتَهُ الْحَدَّ فى إِمَالتِهِ، نَقَصَ الظِّلُّ.

(١) الثعابين العظيمة .

⁂

أَلْحَازِمُ لَا يَأمَنُ عَدُوَّهُ عَلَى حَال : إِنْ كانَ بَعِيدًا ، لَمْ يَأمَنْ مغاوَرَتَهُ (١) ؛ وإِنْ كانَ قَرِيبًا ، لَمْ يأْمَنْ مُوَاثَبَتَـهُ ؛ وإِنْ كانَ مُنْكَشِفًا ، لَمْ يأْمَنْ آسْتِطْرَادَهُ وكَمِينَهُ ؛ وإِنْ رَآهُ وَحِيدًا ، لَمْ يأْمَنْ مَكْرَهُ .

⁂

أَلْمَلِكُ الْحَازِمُ يَزْدَادُ بِرَأْيِ الْوُزَرَاءِ الْحَزَمَـةِ ، كَمَا يَزْدَادُ الْبَحْرُ بِمَوَادِّهِ مِنَ الْأَنْهَارِ (٢) .

⁂

أَلظَّفَرُ بِالْحَزْمِ ؛ والْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ ؛ والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأَسْرَارِ .

---

(١) من غاوره أى شن الغارة عليه .
(٢) اي الانهار المادة له بمائها.

***

إِنَّ الْمُسْتَشِيرَ ـ وإِنْ كانَ أَفْضَلَ مِنَ الْمُسْتشارِ رَأْياً ـ فَهُوَ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأْياً ، كَمَا تَزْدَادُ النَّارُ بِالْوَدَكِ [1] ضَوْءًا .

***

عَلَى الْمُسْتَشَارِ مُوَافَقَةُ الْمُسْتَشِيرِ عَلَى صَوَابِ مَا يَرَى ، والرِّفْقُ بِهِ فِي تَبْصِيرِ خَطَإٍ إِنْ أَتَى بِهِ ، وتَقْلِيبُ الرَّأْيِ فِيمَا شَكَّا فِيهِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لَهُمَا مُشَاوَرَتُهُمَا .

***

لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبْرِ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ ؛ ولَا الْخَبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ ؛ ولَا السَّيِّئُ الْأَدَبِ فِي الشَّرَفِ ؛ ولَا الشَّحِيحُ فِي الْمَحْمَدَةِ ؛ ولَا الْحَرِيصُ فِي الْإِخْوَانِ ؛ ولَا الْمَلِكُ الْمُعْجَبُ بِثَبَاتِ الْمُلْكِ .

(١) الدسم والدهن والشحم والأدم وما أشبه ذلك . «المواد الشحمية» .

***

صَرْعةُ اللّـِينِ أَشَدُّ استِئْصَالاً من صَرْعةِ المُـكابَرَةِ .

***

ارْبَعَةُ أَشياء لا يُستَقَلُّ مِنْها قَليلٌ : النَّارُ، والمَرَضُ، والعَدُوُّ، والدَّيْنُ .

***

احَقُّ النَّاسِ بِالتَّوْقيرِ المَلِكُ الحَليمُ ، العَالِمُ بالامُورِ وفُرَصِ الأَعْمَالِ ومَوَاضِـعِ الشِّدَّةِ واللِّـينِ والغَضَبِ والرِّضَاء والمُعَاجَـلَةِ والأَنَاةِ ، الناظِرُ فى أَمرِ يَوْمِهِ وغَدِهِ وعَوَاقِبِ أَعمَالِهِ .

***

السَّبَبُ الَّذِى يُدْرِكُ بِهِ العَاجِزُ حَاجَتَهُ هُوَ الَّذِى يَحُولُ بَـيْنَ الحَازِمِ وبَيْنَ طَلِبَتِهِ[1] .

---

(١) الطلبة «بفتح الطاء وكسر اللام» : ماطلبته من شيء .. وهى ايضاً الحاجة .

*
* *

إنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ والْكَرَمِ يَبْتَغُونَ إلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ وُصْلَةً وسَبِيلاً .

وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ سَرِيعٌ اتِّصالُهَا ، بَطِيءٌ انْقِطَاعُهَا .
وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ كُوبِ الذهَبِ الذِي هُوَ بَطِيءُ الانْكِسارِ ، هَيِّنُ الإِصْلاحِ .

والْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا ، بَطِيءٌ اتِّصالُهَا .
كالْكوزِ مِنَ الْفَخَّارِ يَكسِرُهُ أدنى عَبَثٍ ، ثُمَّ لَا وَصْلَ لَهُ أبدًا .

والْكَرِيمُ يَمْنَحُ الرَّجُلَ مَوَدَّتَهُ عَنْ لُقْيَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ مَعْرِفَةِ يَوْمٍ . واللَّئِيمُ لا يَصِلُ أحَدًا إلا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ .

فَإِنَّ أَهْلَ الدُّنيَا يَتَعاطَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ ويَتَوَاطَئُونَ عَلَيْهِمَا : ذَاتُ النَّفْسِ ، وذاتُ الْيَدِ .

فَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمُ الْمُتَعَاوِنُونَ الْمُسْتَمْتِعُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ الانْتِفَاعَ بِبَعْضٍ، مُنَاجَزَةً ومُكَايَلَةً .

* * *

مَا التَّبَعُ وَالْأَعْوَانُ والصَّدِيقُ والْحَشَمُ إِلا لِلْمَـالِ . ولا يُظْهِرُ الْمُرُوءَةَ إِلاَّ الْمَالُ . ولَا الرَّأْيُ ولا الْقُوَّةُ إِلاَّ بِالْمَالِ .

* * *

وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ، فَلاَ أَهْلَ لَهُ . وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ، فَلا ذِكْرَ لَهُ؛ وَمَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ، فَلاَ دُنْيَا لَهُ ولاَ آخِرَةَ؛ وَمَنْ لاَ مَالَ لَهُ، فَلاَ شَيْءَ لَهُ .

* * *

والْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلى صَاحِبِهِ مَقْتَ النَاسِ، وهُوَ مَسْلَبَــةٌ لِلْعَقْلِ والْمُرُوءَةِ، ومَذْهَبَةٌ لِلْعِلْمِ والْأَدَبِ، ومَعْدِنٌ لِلتُّهَمَةِ، ومَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا .

وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ والْفَاقَةُ ، لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ ؛ وَمَنْ ذَهَبَ حيَاؤُهُ ، ذَهَبَ سُرُورُهُ ؛ ومَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ ، مَقُتَ ؛ ومَنْ مَقُتَ ، أُوذِيَ ؛ ومَنْ اوذِىَ ، حَزِنَ ؛ ومَنْ حَزِنَ ، فَقَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ واَسْتُنْكِرَ حِفْظُهُ وفَهْمُهُ .

ومَنْ أُصيبَ فى عَقْلِهِ وفَهْمِهِ وحِفْظِهِ ، كانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وعَمَلِهِ فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لاَ لَهُ .

فَإِذَا اَفْتَقَرَ الرَّجُلُ اَتَّهَمَهُ مَنْ كانَ لَهُ مؤْتَمِنًا ، واساءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا : فَإِذَا اذْنَبَ غَيْرُهُ ، ظَنُّوهُ وكانَ لِلتُّهَمَةِ وسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا .

***

وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلاَّ هِيَ لِلْفَقِيرِ عَيْبٌ :
فَإِنْ كانَ شُجَاعًا، سُمِّيَ أَهْوَجَ ؛

وَإِنْ كانَ جوَادًا، سُمِّيَ مفْسِدًا ؛

وإِنْ كانَ حَلِيما ، سُمِّيَ ضَعِيفًا ؛

وإِنْ كانَ وَقُورًا، سُمِّيَ بَلِيدًا؛

وإِنْ كانَ لسِنًا، سُمِّيَ مِهْذَارًا ؛

وإِنْ كانَ صمُوتًا ، سُمِّيَ عَيِيًّا.

*
* *

وكانَ يُقَالُ : مَنِ ٱبْتلِيَ بمَرَض فى جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ ، اوْ بفِرَاقِ الْأَحِبَّةِ والْإِخْوَانِ ، أَوْ بالْغُرْبَةِ حَيْثُ لا يَعْرِفُ مَبِيتًا وَلَا مَقِيلاً ولَا يَرْجُو إِيَابًا ، أَوْ بِفاقَـةٍ تَضْـطَرُّهُ إِلَى الْمَسْـألَةِ : فَالْحَيَاةُ لَهُ موْتٌ ، والْمَوْتُ له رَاحةٌ .

*
* *

وجَدْنَا الْبلايَا في الدُّنْيَا إِنماَ يَسُوقُهَا إِلَى اهْلِها الْحِرْصُ

والشرَهُ . ولَا يزالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا يتَقَلَّبُ في بليَّةٍ وتَعَب ، لأَنَّهُ لايَزَالُ بِخَلَّةِ الْحِرْصِ والشرَهِ .

* * *

وسَمِعْتُ الْعُلَمَاءَ قالُوا : « لَا عقلَ كالتَّدْبير ، ولَا وَرَعَ كالْكَفِّ ، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الْخُلُق ، ولا غِنًى كالرِّضَى . واحَق ماصبِرَ علَيْهِ مالا سبِيلَ إلى تَغْيِيرِهِ . وأَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَة ، ورَأْسُ الْمَوَدَّةِ الاسْتِرْسَالُ ، ورَأْسُ الْعَقْلِ الْمَعْرِفَةُ بِمَا يَكُونُ ومالا يَكُونُ ، وطِيبُ النَّفْس حُسْنُ الانْصِرَافِ عمَّا لا سَبِيلَ إِلَيْهِ . ولَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورٌ يَعْدِلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَان ، ولَا فِيهَا غَمٌّ يَعْدِلُ غمَّ فَقْدِهِمْ » .

* * *

لا يَتِمُّ حُسْنُ الْكلَامِ إلا بِحُسْنِ الْعَمَلِ . كالمَرِيضِ الذِي

قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ نَفْسِهِ : فَإِذَا هُوَ لَمْ يَتَدَاوَ بِهِ لَمْ يُغْنِهِ عِلْمُهُ .

***

الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَال ، كَالأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وإِنْ كانَ عَقِيراً (١) .

والرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانُ وإِنْ كَثُرَ مَالُهُ ، كَالْكَلْبِ الذي يَهُونُ عَلَى النَّاسِ وإِنْ هُوَ طُوِّقَ وخُلْخِلَ .

***

لِيَحْسُنْ تَعَاهُدُكَ نَفْسَكَ بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيْرِ أَهْلاً . فإِنكَ

(١) اى جريحا . والعقير هو المعقور ای المحصودة قوائمها كلها او بعضها. يقال ناقة عقير وجمل عقير. كان العرب اذا ارادوا نحر بعير عقروه اى قطعوا احد قوائمه ثم نحروه. يفعلون ذلك به لئلا يشرد عند النحر . وفي الحديث الشريف ان خديجة لما تزوجت برسول الله كست اباها (ابا بكر الصديق) حلة وخلقته اي دهنته بالخلوق والطيب ونحرت جزورا. فقال: ماهذا الحبير وهذا العبير وهذا العقير؟ اي ماهذه الحبرة وهذا الطيب وهذا الجزور المنحور .

إِذَا فعلْتَ ذَلِكَ ، أَتَاكَ الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ ، كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ السيلَ إِلى الْحَدُورَةِ .

***

وَقِيلَ فى أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ ولَا بَقَاءٌ : ظِلُّ الْغَمَامِ ، وَخُلَّةُ (١) الْأَشْرَارِ ، وعِشْقُ النِّسَاءِ ، والنَّبَا الْكَاذِبُ ، والْمَالُ الْكَثِيرُ .

ولَيْسَ يَفْرَحُ الْعَاقِلُ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ ، ولَا يُحْزِنُهُ قِلَّتُهُ . ولَكِنَّ مَالهُ عَقْلُهُ وما قَدَّمَ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ .

***

إِنَّ أَوْلَى الناسِ بِفَضْلِ السُّرُورِ وكَرَمِ الْعَيْشِ وحُسْنِ الثَّنَاءِ مَنْ لَا يَبْرَحُ رَحْلُهُ (٢) مِنْ إِخْوَانِهِ وأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصالِحِينَ

(١) الصداقة (٢) الرحل هنا مسكن الرجل ومنزله وبيته .

مَوْطُوءا، ولَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنهُمْ زِحَامٌ، ويَسُرُّهُمْ ويَسُرُّونهُ، ويكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِهِمْ وأُمُورِهِمْ. فإنَّ الْكَرِيمَ إِذا عَثَرَ لمْ يَسْتَقِلْ إلاَّ بالْكِرَامِ، كالفِيلِ إِذا وَحِلَ لَمْ يَسْتَخْرِجهُ إلا الفِيلَةُ .

* * *

لا يَرَى الْعَاقِلُ مَعْرُوفًا صَنَعَهُ، وإِنْ كانَ كَثِيرًا. ولوْ خاطَرَ بنَفْسِهِ وعَرَضَها فى وُجُوهِ الْمَعْرُوفِ، لَمْ يَرَ ذلِكَ عَيْبًا. بلْ يعلَمُ أنَّما أخطَرَ الْفَانى بِالْبَاقِى، واشْتَرَى الْعَظِيمَ بِالصَّغِيرِ.

* * *

وأغْبَطُ النَّاسِ عِنْدَ ذَوى الْعَقْلِ أكْثَرُهُمْ سائِلاً مُنْجِحًا، وَمُسْتَجِيرًا آمِنًا.

* * *

لا تَعُدَّ غَنِيًّا مَنْ لَمْ يشَارِكْ فى مَالِهِ؛ ولَا تَعُدَّ نَعِيماً ما كانَ فيهِ تَنْغيصٌ وسُوءُ ثَنَاءٍ؛ ولَا تَعُدَّ الْغنْمَ غُنْمًا إِذا ساقَ غُرْمًا،

ولا الغُرْمَ غُرْمًا إذا ساق غُنْمًا ؛ ولَا تعتَدَّ مِنَ الْحيَاةِ ما كان في فرَاق الاحبةِ .

***

ومِنَ الْمَعُونَةِ على تَسْلِيةِ الْهُمُومِ وسُكُونِ النَّفْسِ لِقاء الْأَخِ اخاهُ ، وإِفْضاء كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إلى صاحبِهِ بَبَثِّهِ .

وإذا فُرِّقَ بَيْنَ الْأَلِيفِ واليفِهِ فَتَدْسُلِبَ قَرَارَهُ وحُرِمَ سُرُورَهُ .

***

وقَلَّ ماترَانَا نَخْلُفُ عقَبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا في اخرَى .

***

لَقَدْ صدَقَ الْقَائِلُ الَّذِي يَقُولُ : لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مُسْتَمِرًّا مالَمْ يَعْثِرْ ، فَإِذَا عَثَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَرْضِ الْخَبَارِ (١) لَجَّ بِهِ الْعِثَارُ ،

---

(١) الخبار الارض السهلة اللينة التي تكثر فيها الحفر فتتهور فيها الاقدام وتسوخ فيها القوائم فكلما سار فيها انسان اوحيوان سقط ثم قام وهكذا . وفي الحديث الشريف : فدفعنا في خبار من الارض . ومن امثال العرب : من تجنب الخبار أمن العثار .

وإِنْ مَشَى فى جَدَدٍ . لِأَنَّ هَذا الإِنْسَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ الْبَلَاءُ ، فَلاَ يَزَالُ فى تَصَرُّف وفى تَقَلُّب لاَ يَدُومُ له شَيْءٌ ولاَ يَثْبُتُ معهُ ، كَمَا لاَ يَدُومُ لِطَالِعِ النُّجُومِ طُلُوعُهُ ولَا لا فِلِها أُفُولُهُ . ولَـكِنَّهَا فى تَقَلُّبٍ وتَعَاقُبٍ : فَلا يَزَالُ الطَّالِـعُ يَكُونُ آفِلاً ، والآ فِلُ طَالِعًا .

تمَّ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد النبى وآله وصحبه وسلم
تسليما . حسبنا الله
ونعم الوكيل

م م
م

استدراك

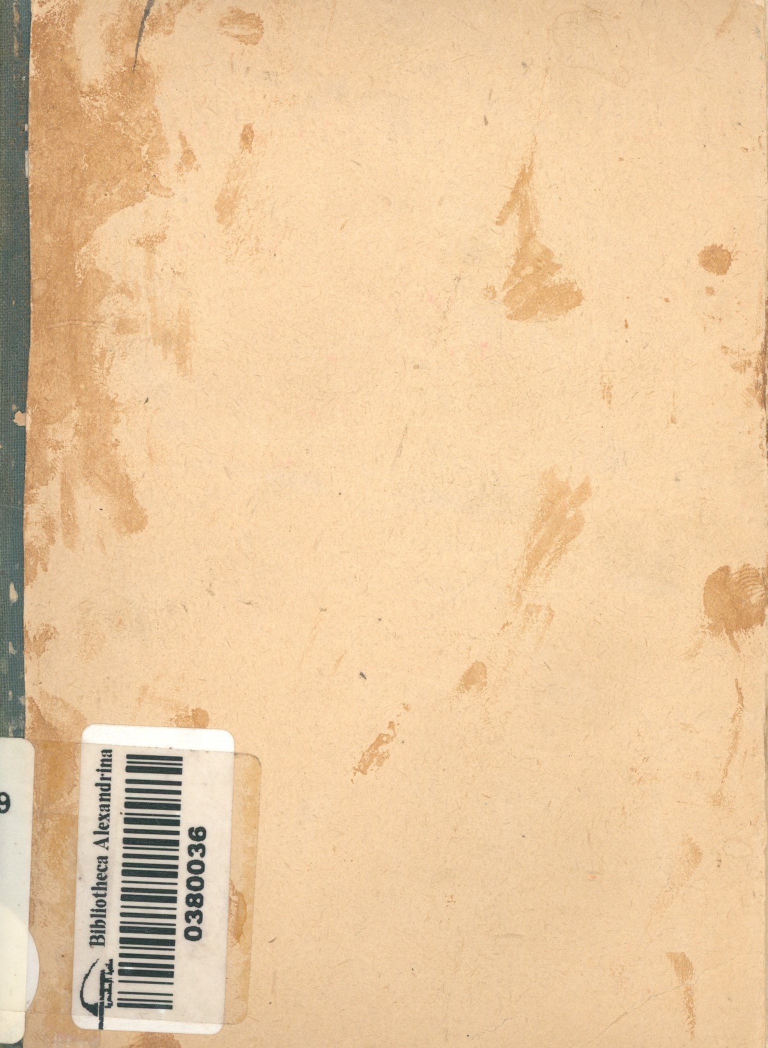
ضبطنا « تَهمة » (ص ٣٩) بفتح التاء والهاء مراعاة للتنظير في المعنى. وقد يصح كسر الهاء باعتبار الارض الحارة . فتأمل .

تنبيه

مع ما بذلناه من العناية المتناهية فى ضبط الحركات قد انحرف بعضها عن مواضعه وتكسر البعض الآخر اثناء الطبع ، وهو قليل جداً في الحالتين . وقد أهمل الصفافون شيئاً مما أشرنا به من الحركات ، وهو نادر ايضاً . وتلك سجية فيهم كأنهم اخذوا على أنفسهم الاستمرار على سنة أسلافهم من النساخين المساخين .

وأملنا ملافاة هذا النقص الطفيف الزهيد في الطبعة الثانية .

والكمال لله وحده !


Bibliotheca Alexandrina
03800036